1081

HARLEQUIN

عبير

١٠٨١

Nahas

دار م. النحاس

أمرأة متهمة

ساندرا مارتون

www.elromancia.com

مرمورية

أمرأة متهمة

ساندرا مارتون

كانت اوليفيا هاريس في منتهى اليأس! فقد كانت بحاجة إلى مال... وبسرعة. والمشكلة هي أن الشخص الوحيد الذي بإمكانها التماس المساعدة منه، هو آخر رجل ممكن أن يقدمها إليها، ذلك أن إدوارد آرتشر كان يريد أن يعلم حقيقة العلاقة التي كانت بين أوليفيا وزوج أمه، ولكنها كانت مصممة على الاحتفاظ بسرها، وهكذا، عندما استلم ادوارد قيادة حياة أوليفيا، تملكها القلق.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٢,٥ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال.

امرأة متهمة

تملكها شعور هو مزيج من الاضطراب والاشمئزاز من نفسها، حاولت اللجوء إلى ما سبق وأعطاها من انطباع بأنه شحيح بخيل، فقالت بلهجة لاذعة: «ربما لأنك تعلم أن هذا خارج عن مقدرتك.»

استعاد بعدها تمالك أعصابه، كما رأت من برودة ابتسامته ونظراته.

«إياك أن تتحديني يا أوليفيا، وإلا وجدت أنني قد أستجيب إلى ذلك.»

ساندرا مارتون

تؤمن ساندرا مارتون على الدوام بتأثير رواية القصص، وبالبهجة في العيش مع أبطالها. كتبت أول قصة عاطفية عندما كانت في التاسعة من عمرها، وفي السادسة عشرة وقعت بشكل جنوني في غرام الرجل الذي تزوجته فيما بعد. واليوم، بعد تنشئتها ابنيها واقتنائها مجموعة متنوعة من الحيوانات، تعيش مع زوجها في منزل على قمة تل في ناحية هادئة من ولاية كونيكتكت.

الفصل الأول

أخذت أوليفيا تركض بعد أن تأخرت عن موعدها. لم يكن في ذلك شيء غير عادي، إذ يبدو أن كل إنسان بانتهاء فصل الصيف ودخول فصل الخريف خطر بباله ذات يوم وجوب إعادة طلاء وتزيين غرفة الجلوس أو الشقة، فيهرع إلى محل بيار حيث تعمل هي ليحمل عينات من القماش وشرائح من الدهان. لقد كان بيار في غاية السرور، بسبب إقبال الزبائن على محله، ولكنه أحدث فوضى في مواعيد أوليفيا. وها هي الآن تصل متأخرة إلى موعدها مع رايا.

اجتازت مسرعة شارع فيفث افينيو وهي تفكر بأسى بأن هذا ليس غداءً عادياً، وإنما كان غداء ذكرى مولدها السنوي، وكانت أوليفيا قد أقسمت بأنها لن تتأخر.

حسناً، لقد حاولت جهدها ويبدو أنها لم تنجح، رغم أن رايا لن تفاجأ بذلك.

كانت رايا قد قالت: «إننا نحن الاثنتين، نعلم أنك ستتأخرين يا أوليفيا. إن ذلك الرجل يحمّلك من العمل ما لا طاقة لك به، رغم أنه يعلم أنك الشخص الوحيد الذي يجلب الزبائن إليه، صدقيني أن الوقت قد حان لكي تتخذي عملاً خاصاً بك، يا أوليفيا.»

ابتسمت أوليفيا وهي تتذكر تلك الكلمات، لقد كان عملها شاقاً عند بيار. كان بيار يكره الاعتراف بموهبتها، إلا أنه

كان سبب انتقالها من العمل كبائعة في حانوت، إلى مركز مساعدة في التصميم، خلال ثلاث سنوات فقط، أما بالنسبة إلى اتخاذها محلاً خاصاً بها، فليس بامكانها استدانة نقود كافية كما أن ليس لديها ما ترهنه.

لم تتوقع اوليفيا أن تفهمها صديقتها. فقد ولدت رايا لأسرة ثرية. وكان كل ما تعرفه عن مشاق العمل هو التواجد في معرض للفنون من الظهر حتى السادسة مساءً وهذا ماجعل سهلاً عليها القدوم إلى الغداء في الوقت المحدد.

قالت ضاحكة وكأنها مازالت في العاشرة من عمرها وليس على وشك دخولها سن السادسة والعشرين: «انك لن تتأخري هذه المرة لو انك عرفت فقط ما هي هديتك.»

فكرت أوليفيا في الشال الحريري الذي احضرته هي لرايا. فقالت محذرة: «اتذكرين ما اتفقنا عليه؟ لا اريد هدايا غالية، لقد كانت الساعة التي اهديتها لي في المرة الماضية رائعة، ولكن...»

«كم انت غبية. ما فائدة امتلاكي للمال إذا أنا لم انفقه على الناس الذين أحبهم.»

وتنهدت أوليفيا وهي تسرع نحو مطعم لويجي. وألقت نظرة على الساعة الثمينة المرصعة بالذهب والماس والتي تحيط برسغها النحيل هدية رايا السنة الماضية والتي كانت هي نادراً ما تلبسها... انفرجت أسارير وجهها. من المؤكد انها لن تصل في الموعد المحدد.

آه، ها هوذا المطعم وهذه لوحته السوداء تحمل اسمه بأحرف ذهبية. لقد وصلت متأخرة ثلث ساعة.

فتح لها الباب بواب في بزة رسمية وهو ينحني أمامها، باحترام كلي وكأنها من الأسرة المالكة.

نظرت إلى ساعتها مرة أخرى، ربما كانت رايا قد سبقتها. فتقدمت خطوات إلى حيث المقهى، وهي تحدق في الغرفة الرئيسية، وتتابعت خطواتها إلى الأمام...

تراجع رجل إلى الخلف في نفس اللحظة، فأمكن لأوليفيا أن تلاحظ السترة الصوفية الرمادية اللون، وبريق كوب عصير البرتقال في يده، وذلك قبل ان يندفع الشراب محدثاً رشاشاً لوث سترتها وتنورتها.

وجدت نفسها تحدق أولاً في ربطة العنق الحريرية القاتمة التي لطخها السائل، ثم في وجه ارتسمت على ملامحه البرودة والعدوانية.

«تباً لك يا امرأة، لمَ لا تنظرين امامك؟»

فتحت أوليفيا فاها مذهولة وقالت: «أنا؟ انك الذي...»

«انظري. لقد اتلفت ربطة عنقي.» واخرج من جيبه منديلاً أبيض أخذ يمسح به البقع عن ربطة عنقه.

فحدّقت إليه وهي تلامس قماش سترتها الحريري الناعم. لقد اصابه التلف هو أيضاً. وشعرت بالتعاسة. ما وجه المقارنة بين ربطة عنق وسترة حريرية؟

إرتسمت على وجهه ابتسامة طفيفة، بينما توقفت أنفاس أوليفيا وهي تفكر بشكل غبي في مقدار وسامة هذا الرجل.

قال بسرور: «لا بأس. ان الاصطدامات تحدث على الدوام.»

ازدردت ريقها قائلة: «نعم.. اظن هذا.» انه ليس وسيماً

فقط، بل ثرياً أيضاً. لقد أدركت ذلك من بذلته الغالية التفصيل ومن طريقته في الحديث. توردت وجنتاها وهي ترى كيف أخذ ينظر إليها.

«سيدتي، سيدي؟ هل هناك مشكلة؟»

استدارت لترى رئيس الخدم واقفاً وقد قطب جبينه، فابتسم الرجل قائلاً: «ليس ثمة مشكلة أبداً.»

فنظر رئيس الخدم إلى ثوبها ثم إلى ربطة عنقه: «هل أحضر شيئاً لتنظيف ملابسكما؟ أو ربما...»

فقاطعه الرجل: «مائدة.»

وأمسك بمرفق أوليفيا، ولكنها جذبت ذراعها منه بعنف وقالت: «انني جئت لمقابلة شخص هنا.»

فضحك برقة قائلاً: «وكذلك انا. ولكن لم يفت الوقت لتغيير خطتينا، أليس كذلك؟»

تجاهلته قائلة لرئيس الخدم: «ربما هي هنا الآن. ان اسمها هو...»

فتمتم الرجل: «ان ما يهمني هو اسمك انت. إذا كنت لا تريدين تناول طعام الغداء معي، فاعطني اسمك ورقم هاتفك على الأقل...»

فتنحنح رئيس الخدم قائلاً: «الافضل ان اذهب. سأعود بعد دقائق.»

هزت أوليفيا رأسها قائلة: «كلا، بل اريدك ان تأخذني إلى مائدتي سواء كانت صديقتي هنا أم لا.»

«كما تريدين يا سيدتي.»

همس الرجل خلفها ساخراً وهي تتركه لتسير خلف رئيس الخدم: «قولي وداعاً، على الأقل.» ولكنها لم ترد

عليه، وقالت لرئيس الخدم: «ان الحجز هو باسم رايا باسكومب.»

انحنى رئيس الخدم قائلاً: «طبعاً، اتبعيني من فضلك.» وأشار إلى مائدة قائلاً: «هذه هي المائدة يا سيدتي.»

«شكراً، انني...» وسكتت أوليفيا وقد تملكتها الدهشة، نعم، كان هنالك من ينتظرها، ولكن ليس رايا، كان بدلاً منها، رجل أبيض الشعر وسيم الوجه وقد وقف يبتسم لها. فقالت وهي تستدير إلى رئيس الخدم: «عفواً، اظن هناك خطأ ما.»

فابتسم الرجل وهو يصرف الرجل بيده قائلاً: «لا بأس يا جيوفري، ان هذه هي مائدة الآنسة هاريس حقاً.»

فقالت ببطء: «انني آسفة، ولكنني لا...» وسكتت. كانت تريد ان تقول انها لا تعرفه، ولكنها اكتشفت انها تعرفه. فوجهه كان مألوفاً لديها، وكذلك صوته. اين تراها قابلته من قبل؟

قال وكأنه قرأ افكارها: «تشارلز رايت، لقد تقابلنا منذ عدة شهور، في المتجر حيث تعملين، وذلك للاستعلام عن امكانية وضع ستائر في شقتي.»

فابتسمت أوليفيا وهي تصافحه: «وانتهيت بالموافقة على طلاء الشقة بأكملها. المعذرة إذا لم اتذكرك يا سيد رايت.»

فازدادت ابتسامته دفئاً وهو يقول: «لا بأس. فأنا لا اتوقع من شابة رائعة الجمال مثلك ان تتذكر رجلاً عجوزاً مثلي.»

فقالت: «ولكنك لست عجوزاً... انني فقط... اخشى ان

www.elromancia.com

يكون قد حدث خطأ ما. فأنا في انتظار صديقة لنتناول الغداء معاً...»

«رايا باسكومب.»

فرفعت حاجبيها قائلة: «نعم. كيف عرفت؟»

«ألم تخبرك رايا بأنها طلبت مني ان اكون معكما؟ آه، لقد ارادت ان يبقى الأمر سراً إلى آخر لحظة.»

«هل تعرفان بعضكما انت ورايا؟»

فضحك مسروراً: «بإمكانك ان تقولي هذا. لقد تعارفنا في الواقع في المتجر الذي تعملين فيه، حيث ذهبت لهناك لأعلن عن سروري في تصميم غرفة الجلوس عندي فجاءت رايا لزيارتك حيث عرفتنا انت على بعضنا.»

«لقد تذكرت الآن، ولكن هذا لا يفسر...»

«أرجوك ان تجلسي يا آنسة هاريس، ستكون رايا هنا بعد قليل. اؤكد لك ذلك.»

ترددت أوليفيا قليلاً، ولكنها جلست وذهنها يعمل بسرعة محاولة ان تفهم شيئاً. ثم تنحنحت قائلة بمرح: «يجب ان اعترف بأنني غير آسفة لتأخرها، ذلك انني انا التي اعتدت التأخر على الدوام. وقد وعدتها بأن احرص اليوم على الموعد.» وساد الصمت، فعادت تقول: «حسناً، أرجو ان تكون مسروراً بشقتك يا سيد رايت؟»

فقال باسماً: «قولي تشارلز، ان المرأة التي زخرفت شقتي بمثل ذلك الجمال، لا بد أنها تعرفني جيداً لكي تدعوني باسمي الأول.»

فقالت باسمة: «إذن، فقد اعجبتك الشقة؟ انني انكر ان لون غرفة الجلوس كان مملاً برأيك.»

فضحك قائلاً: «كنت امزح معك فقط، ذلك انني لم امكث في الشقة وقتاً كافياً لألاحظ ذلك. ان كل شخص هنأني على جمال زخارف الشقة. وقد اخبرتهم جميعاً انها من صنع الآنسة أوليفيا هاريس.»

توردت وجنتاها وقالت: «شكراً، ربما كان مديري يريدك ان تكون مصدر دعاية لمؤسسته.»

فقال: «هذا كلام فارغ. فنحن نعلم انك الذهن المبدع في ذلك المحل.»

«هذا من كرم اخلاقك، ولكن...»

«ماذا تريدين ان تشربي؟»

فترددت ثم قالت: «لا بأس بمياه بيرييه المعدنية من فضلك.»

تساءل مندهشاً: «في ذكرى مولدك؟»

«وهل تعلم ان اليوم يصادف ذكرى مولدي؟»

نظر إلى النادل يطلب زجاجة من مياه بيرييه، ثم مال نحوها قائلاً: «انه ذكرى مولدك ومولد رايا في نفس الوقت. انني طبعاً اعرف، وهذا هو سبب وجودي هنا.»

«لكي تحتفل بذكرى مولد رايا؟»

فضحك بلطف وهو يقول: «ربما كان من الأصلح القول انني هنا لاحتفل بذكرى مولدك انت.»

«اسمع، انني لا اريد ان اكون خشنة معك، ولكنني كنت أتوقع الاجتماع بصديقتي لنتناول الغداء معاً، وإذا بي اراك تنتظرني، وبينما يبدو انك تعرف الكثير عني، فأنا لا اعرف شيئاً عنك.»

«ولكنك تعرفين، انني صديق رايا، وانني احد عملائك

www.elromancia.com

المعجبين...» وتنهد: «لقد طلبت من رايا ان تخبرك بنفسها، ولكنها اصرت على ان اخبرك انا.»

«تخبرني بماذا؟»

قال: «كنا، انا ورايا، نتحدث ذات يوم، عن قرض للاستثمار. فهي تعلم انني دوماً احب استثمار اموالي في مشاريع صغيرة. وهكذا عندما اوضحت لي ما في اقامة مؤسسة لديكور المنازل من فوائد...»

أمسكت أوليفيا انفاسها. إذن فهذا ما كانت تقصده رايا؟ أتراها وجدت شخصاً يملك المال لفتح مؤسسة؟ اترى تشارلز يريد منها ان تعمل لديه في مكان كهذا؟ يا لها من فكرة رائعة. «سيد رايت... تشارلز... دعني أولاً، افهم. اتريدني ان ادير محلاً لأجلك؟»

فهز رأسه قائلاً: «كلا.»

أومأت برأسها قائلة بابتسامة مرتجفة: «آسفة. لا بد انني اسأت الفهم، ولكنني متأكدة من انك تحدثت عن انشاء مؤسسة لأعمال الديكور من دهان وزخرفة.»

«نعم. انت من سيقوم بهذا العمل، وأنا من سيقدم رأس المال.» وضحك وهو يرى النظرة الحائرة التي بدت في عينيها، وأضاف: «المسألة بسيطة، فقد تلقيت من كلمات الاعجاب بشقتي ما جعل بيعها بمنتهى السهولة.»

«هل بعتها؟ ولكننا لم نكد ننتهي من تجديدها؟»

«نعم، ولكن حاجتي إليها تغيرت، يا أوليفيا. لقد احتجت إلى شقة اكثر هدوءاً واكثر انعزالاً، وأنا لم اطلب منك طلاء وزخرفة شقتي الجديدة لأنها... لأنها حديثة البناء.»

فقالت بحيرة: «لا بأس، ليس عليك ان تفسر هذا.»

«الموضوع هو أنه في كل مرة كان أحدهم يبدي اعجابه بالشقة، كانت رايا تذكر مقدار خسارتك من عدم تمكنك من فتح محل للديكور خاص بك، ولهذا لم ادهش عندما حدثتني بهذه الفكرة.»

فقالت بحذر: «أي فكرة؟»

«لقد اخبرتني بأنك حاولت الحصول على قرض من المصرف، لكنهم رفضوا اعطاءك ذلك. اليس هذا صحيحاً؟»

فقالت بصوت ضعيف: «لقد حاولت الحصول على قرض من عدة مصارف، انني لا أرى...»

«لقد اقترحت علي رايا ان امول مشروعك.»

فحدقت فيه تسأله: «ماذا؟»

«لقد اخبرتك بأنني ابحث دوماً عن مشاريع صغيرة لاستثمار نقودي. فلماذا لا استثمر مبلغاً صغيراً في مشروع انشاء محل للديكور؟»

مبلغ صغير؟ وشعرت أوليفيا بالدوار، نعم، ان المبلغ الذي تحتاجه هو صغير بالنسبة إلى رجل مثل تشارلز رايت هذا. انه هبة عملية حسب قول رايا. هبة معقولة تماماً...

«وهكذا طلبت من المحامي ان يعرف تكاليف مشروع كهذا، فجاءني بأرقام تقريبية إلى ان يأخذ منك بعض المعلومات.»

كان الرجل جاداً في كلامه، حدقت إليه. هل يمكن ان يكون لها محل للديكور؟ محل تقرر فيه وحدها ما تريد وليس مخدومها بيار؟ محل تكون فيه القرارات والتصاميم من وضعها هي وحدها...

www.elromancia.com

ولكن هذا جنون، غير معقول، لا أحد يدري كيف استطاعت رايا اقناعه بتقديم مثل هذا العرض الكريم. لا يمكنها قبول ذلك، طبعاً، انها...

«وإذا كنت تعتقدين ان هذا تصرف جنوني، حملتني رايا على الاقتناع به...»

فضحكت بعصبية: «كنت افكر فعلاً بشيء كهذا.»

«حسناً، اطمئنك بأن الأمر ليس كذلك. لقد اعتدت، طوال سنوات، على وضع نقودي في مصبغة لتنظيف الملابس، متجر لبيع الآلات الالكترونية، حتى في مؤسسة للحلاقة. فلماذا لا اضعها في محل ديكور؟»

«نعم، ولكن... ولكنك لا تكاد تعرفني...»

«انني اعرف عملك، كما ان رايا ضمنتك، وهذا يكفي. ثم انه قرض، يا أوليفيا، وعليك ان تدركي هذا، قرض بسندات شهرية في مواعيد محددة وغير ذلك.» وابتسم مضيفاً: «ان هذا ما يريده المحاسبون عندي وكذلك مصلحة الضرائب.»

فهمست: «انني لا أدري... لا ادري ما اقول.»

فضحك وقال: «ان المرأة العاملة الذكية تقول نعم لمشروع كهذا.» واخرج شيكاً من جيب قميصه ودفعه اليها قائلاً: «انظري إلى هذا. ان رجالي يقولون انه يكفيك للبدء بالعمل، ولكنه إذا لم يكن كافياً، اخبريني، فأنا اريد ان يكون رأسمالك جيداً، لأننا إذا اردنا ان يتوافد الزبائن عليك، فلا بد ان يكون وضعك متيناً.»

وجعل رقم المبلغ في الشيك رأس أوليفيا يدور، حدقت إليه ثم إلى رايت.

قالت ببطء: «انني... انني لا ادري. وماذا لو فشلت؟» ودفعت الشيك إليه عبر المائدة، وقد تألقت الماسات التي ترصع ساعتها، ولكنه وضع يده على يدها التي كانت تزيح الشيك نحوه، وهو يقول: «ان لنا انا ورايا، كل الثقة بك.»

فحدقت فيه بجمود: «يا سيد رايت...»

فابتسم وقال: «قولي تشارلز. فعلاقتنا الآن تبتدأ باستعمال الاسم الأول.»

صمت لحظة ثم أضاف: «هل هذا المبلغ كاف، إذن؟»

أومأت: «آه، نعم، يا تشارلز. انه اكثر مما احتاجه... إنما المسألة هي... هي انني لا اعرف ما اذا كان علي ان أقبل مثل هذا المبلغ الضخم.»

«ما أرق هذه المشاعر. انها تكاد تبدو وكأنها تعني ذلك حقاً.»

كان الصوت لرجل، ولكن البرود كان واضحاً فيه، وكذلك السخرية... كما انه كان مألوفاً، لقد كان نفس الرجل الذي كانت اصطدمت به منذ دقائق. فرفعت اوليفيا وجهها ونظرت إليه ببرود ثم ابتدأت تقول: «انك غير مرغوب بك هنا...» ثم سكتت، ذلك ان الرجل الغريب لم يكن ينظر إليها، فقد كان ينظر إلى تشارلز... كما ان تشارلز كان يبادله النظرات، وقد شحب وجهه بدرجة هائلة.

قال الرجل: «ما اجمل ان أراك مرة أخرى يا تشارلز.» ولكنها ادركت انه لم يكن يعني ما يقول، وكذلك كان تشارلز يدرك ذلك هو أيضاً. تنحنحت اوليفيا ثم قالت: «هل... هل تعرف هذا الرجل يا تشارلز؟»

www.elromancia.com

فضحك الرجل مردداً كلامها بسخرية: «هل تعرفني، يا تشارلز؟»

فقال تشارلز بصوت لاهث قليلاً: «ادوارد... انها مفاجأة.»

فضحك ادوارد بحدة: «نعم، اظن ذلك.»

فقطبت اوليفيا جبينها... ثمة شيء غير عادي يدور هنا. شيء غير سار، ولكن ما هو؟ كان الغريب يحدق في رفيقها على المائدة. ولم تستطع رؤية عينيه بوضوح... هل كانتا زرقاوين ام سوداوين؟ لم تستطع التأكد من ذلك، انما ما كانت متأكدة منه، ذلك البرود والكراهية السافرة التي نطقت بها تينك العينان.

فتنحنحت وهي تقف قائلة: «سأذهب إلى استراحة السيدات، وهكذا يمكنكما ان تتحدثا...»

منعها تشارلز قائلاً: «كلا.» فاجفلت وهي تعود فتجلس على كرسيها، بينما كرر هو قوله: «كلا، ان ادوارد غير... غير باق هنا. أليس كذلك، يا ادوارد؟»

فارتسمت على شفتي الرجل الآخر ابتسامة هي اقرب إلى العبوس، وهو يقول: «انني ساتناول الغداء مع بعض زملاء العمل.» وألقى نظرة على المائدة حيث كانت يد اوليفيا ما زالت تقبض على الشيك، لتعود تلك الابتسامة البغيضة إلى شفتيه، ثم ارتفعت عيناه إلى عيني اوليفيا: «كنت قلت ان لديك موعداً، انما لم تكن لدي فكرة عن شخصية ذلك الرجل المحظوظ.»

فازدرد تشارلز ريقه متشنجاً: «هل تعرف... هل تعرف الآنسة اوليفيا هاريس، يا ادوارد؟»

فقال الرجل: «ليس بنصف قدر معرفتك لها.»

قال تشارلز: «انا والآنسة هاريس...»

فقاطعه قائلاً: «لا تخبرني شيئاً.» فشعرت بوجهها يتوهج، هو يحدق في عينيها، ضحك بنعومة كأنهما كانا يشتركان في مزحة ثقيلة، ثم قال: «كنتما تتحدثان في شؤون العمل. ان اي رجل بنصف عقل يمكنه ادراك ذلك.»

كانت الكلمات تبدو بريئة، ومع ذلك فقد كانت الإهانة واضحة فيها. وقفت اوليفيا مرغمة نفسها على النظر في وجه الرجل الذي كان يسد طريقها، وقالت له ببرود: «عفواً.»

«لا تتركي المكان بسببي، يا عزيزتي، فأنا متأكد من انه ما زال لديكما، انت وتشارلز، الكثير من العمل لتتحدثا عنه.»

«هل لك ان تتنحى جانباً من فضلك؟»

فافترت شفتاه عن تلك الابتسامة الفظيعة مرة أخرى: «يا للسلوك الحسن، ويا للجمال. يجب ان اعترف، يا تشارلز، بأن ذوقك رائع.»

فسألته ببرود يبطن الغضب: «ومن تظن نفسك؟»

فأجاب مخاطباً تشارلز وعيناه لا تفارقان وجهها: «لماذا لا تخبرها، يا تشارلز؟»

فقال تشارلز بصوت متوتر خفيض: «انك يا ادوارد، قد اقترفت خطأ. فقد اخبرتك ان الآنسة هاريس هي...»

«زميلة عمل، بالطبع.» ومد يده فجأة يمسك بذراع اوليفيا قائلاً: «هذه حلية جميلة، يا عزيزتي.» وبدا على

وجهها الألم وهو يلوي معصمها، فتتألق هدية رايا في النور الذي انعكس على الذهب والماس.

«لا بد انك ممتازة حتى استحققت مثل هذه الهدية من تشارلز.»

فلوت يدها من يده قائلة: «اتركني... اتركني وإلا...»

«والا ماذا؟ تكافحيني؟ تقاتليننني؟» واقترب منها قائلاً: «لمَ لا تحاولين؟» وازدادت ابتسامته تراخياً.

ضاقت عيناها غضباً، فارتفعت يدها لتصفعه على وجهه، ولكنه قبض على معصمها دون جهد وسيطر على حركتها بقبضة قوية خشنة. وما لبثت ابتسامته ان تلاشت وهو يقول: «استمتعي بغدائك يا آنسة هاريس.»

وقبل ان تتمالك نفسها لتفكر في جواب، كان قد استدار على عقبيه تاركاً المكان، بينما قال تشارلز: «اوليفيا، اوليفيا...» فاستدارت تنظر إليه يشير إليها بالجلوس وهو يتابع: «اجلسي يا اوليفيا، ان الجميع ينظرون إلينا.»

حدثتها نفسها بأن تترك المكان هاربة من الباب... ولكنها كانت تشعر بساقيها ترتجفان. كانت بحاجة إلى الجلوس قبل ان تهوي إلى الأرض، وهكذا انهارت على كرسيها.

قال تشارلز بلهجة تعسة: «انا آسف. آسف جداً يا اوليفيا.»

فهزت رأسها وهي تهمس: «من يكون ذلك الرجل؟»

أجاب عابساً: «انه شخص يظن أنه يمتلك العالم.»

كان في صوته الآن غضب وتصميم لا تدري هي اين كانا

عندما كان زائرها غير المرغوب به يتمايل امامهما، ذلك الوغد... فالاشياء التي قالها لها... الأشياء التي ضمنها كلامه...

اغمضت عينيها ومالت برأسها إلى الخلف. لقد وجدت رجلاً غريباً يشاركها الغداء بدلاً من رايا، وعرضاً مالياً تبدأ به عملاً خاصاً بها... رغم انها لن تقبل الآن هذا المال... ثم مواجهة مع رجل مجنون... رجل مجنون تماماً...

«اوليفيا». وعبق الجو حولها بعطر نسائي، ففتحت عينيها بينما كانت رايا باسكومب تتقدم نحوهما رافلة بالفراء والحرير. «آه يا اوليفيا. هل تصفحين عني؟» وضغطت بوجنتها على وجنة صديقتها، ثم ابتسمت لتشارلز: «مرحباً، يا تشارلز. هل استمتعتما بحديث لطيف؟»

«شكراً انك وصلت اخيراً، يا رايا، كنا...»

«حسناً، هل اخبرتها؟ حسناً يا اوليفيا، ما رأيك؟ لقد اردتك ان تسمعي التفاصيل منه لكي...» وتلاشى صوتها وهي تعبس قائلة: «ماذا حدث؟ كنت اظنكما قد اصبحتما صديقين الآن. لا تقولي يا اوليفيا انك غاضبة من عرض تشارلز.»

انحنى تشارلز إلى الأمام قائلاً بلهجة متوترة: «لقد زارنا ادوارد الآن.»

فرفعت رايا رأسها بسرعة: «ادوارد؟ اوه... ماذا كان يفعل هنا يا تشارلز؟»

«يسبب المشكلات. أليست هذه عادته؟»

«نعم، ولكن ادوارد... هنا؟ ماذا قال؟»

فقالت اوليفيا بصوت مرتجف: «لقد قال الكثير من الكلمات الفظيعة... اكثرها موجهة إليّ، ولا أدري لماذا؟ من يكون هذا الرجل؟»

فتبادل تشارلز ورايا نظرة خاصة ثم تكلم الاثنان في وقت واحد: «ان ادوارد هو...»

«ان ادوارد هو...»

سكت تشارلز، بينما تنحنحت رايا قبل ان تقول: «ان ادوارد هو... هو من افراد العائلة... انه... انه يشعر بالاستياء لثراء تشارلز، يا اوليفيا... آه، ان الأمور بالغة التعقيد، ولكن الخلاصة انه يشعر بأن عليه ان يتحكم في اموال العائلة، والتي يبددها هو بالطبع، ثم انه لا يدع فرصة يستطيع فيها إهانة تشارلز تفوته.»

فاطلقت اوليفيا ضحكة قصيرة مرتجفة: «حسناً، انه ماهر في هذا، كما يبدو. لقد جعلني اشعر وكأنني.. كأنني...» ورفعت عينيها إلى رايا. «ولكنه جعلني ادرك شيئاً واحداً، وهو انني لا استطيع قبول عرضك.»

«عرضي؟»

«حسناً، عرض تشارلز. انني اشكرك جداً يا رايا، فهذا اجمل ذكرى مولدك لي، ولكن... كان في الواقع سخياً جداً، ولكنه خارج عن نطاق البحث.»

فسألتها رايا: «لماذا؟»

«حسناً، ان تشارلز لا يعرف شيئاً عن اعمال الديكور.»

«ليس المطلوب منه ذلك، فأنت صاحبة العمل.»

«ثم من يدري إذا كان بإمكاني إدارة المحل؟ فأنا لم اتخرج من مدرسة الديكور إلا منذ اربع سنوات.»

«كلام فارغ. كلنا نعلم انك المسؤولة المباشرة حيث تعملين الآن. ان بيار لم يخطط بقلم منذ اصبحت مساعدته. ماذا أيضاً؟»

فقالت: «حسناً، انني... لا احب فكرة اخذ نقود من رجل غريب.»

قال تشارلز: «لقد اسمعها ادوارد بعض التلميحات لذلك.»

فرفعت رايا حاجبيها: «أحقاً؟»

قالت اوليفيا: «نعم. طبعاً انا اعلم ان هذا كذب. اعني ان تشارلز لم يطلب قط...»

فمالت رايا على المائدة وهي تقول: «لا يمكن لتشارلز ان يطلب منك شيئاً... ان بيني وبين تشارلز علاقة قوية يا اوليفيا، ألم يخبرك بذلك؟»

«كلا... انه لم يفعل.»

فقالت اوليفيا: «آه، فهمت.» ولكنها لم تفهم شيئاً في الحقيقة، علاقة بين رايا وتشارلز؟ ايمكن هذا وبينهما ثلاثون عاماً فرقا في العمر على الأقل؟ إذن فلماذا تصرف ذاك الرجل، ادوارد، وكأنه يظن انني وتشارلز على علاقة...؟

«في الحقيقة ان ادوارد من اقرباء زوجة تشارلز، وتشارلز منفصل عنها.» واحمر وجه رايا عندما حدقت اوليفيا فيها النظر، فقالت: «لا تنظري اليّ بهذا الشكل يا اوليفيا، فقد كان انفصل عنها قبل ان نتعارف.»

فقالت اوليفيا ببطء: «انني... انني فقط مندهشة، يا رايا، فأنت لم تذكري شيئاً عن هذا قط...»

«حسناً، اننا لم نعد نتحدث كثيراً معاً، أليس كذلك؟ على

كل حال، فادوارد لا يهتم حقاً بوضعنا.» وساد العبوس وجهها الجميل. «لقد اخبرتك ان كل ما يهمه هو وضع اليد على اموال تشارلز وكأن ما يملكه الآن لا يكفيه. كما ان موقفه من النساء هو موقف انسان الغاب.»

فقالت اوليفيا وهي تدعك معصمها الذي سبق وآلمه بقبضته: «نعم، انني اوافقك على ذلك.»

«ما الذي بامكاني ان اخبرك به؟ لقد ولد ادوارد آرتشر وفي فمه ملعقة من ذهب، انك تعرفين ذلك النوع من الاشخاص. وهو يمتعض من أي انسان لا يتلاءم معه.»

نعم، كانت تعرف ذلك النوع، تعرفه جيداً، فقد نشأت وهي تعرف غلماناً بهذا الشكل، عندما يأتي الواحد منهم من أسرة عريقة غنية، فهو ينظر إلى امثالها كدمى للعبث... ويكبر الغلام ليصبح رجلاً بنفس الطباع.

اترى ادوارد آرتشر استطاع ان ينفذ إلى اعماق حياتها من خلال ما احدثته فيها السنين من تغييرات؟ الملابس، الخبرة، التبرج الهادىء الخالي من العيب؟ هل كان هذا هو سبب تفكيره في ان بامكانه التعرف إليها عندما حدثت بينهما تلك المصادمة في البداية، وان بإمكانه توجيه الإهانات لها، وسبب ظنه بأن ثمة علاقة شنيعة بينها وبين تشارلز. هل مازال يبدو عليها، بشكل ما، تلك العلامة التي تفصلها عن طبقته، والتي تظهر انها ليست من طبقة النبلاء والأسر العريقة؟

«اوليفيا؟ لا اظنك من الحماقة بحيث تدعين رجلاً كهذا يمنعك من قبول القرض من تشارلز وبالتالي

تغيرين حياتك، أليس كذلك يا اوليفيا؟» وأمسكت بيد صديقتها.

نظرت اوليفيا إلى صديقتها، كانت ابتسامة رايا دافئة صريحة، وكان تشارلز ينظر إليها والحب يتألق في عينيه، ليتبادر إلى ذهنها، للتو، الطريقة التي كان ادوارد ينظر فيها إليها، وكأنها بعض الأقذار عند قدميه.

قالت دون تردد: «كلا، بالطبع.» وفي تلك اللحظة، تقرر مجرى حياتها.

الفصل الثاني

كان انشغال أوليفيا بمرور الايام أكبر من أن يسمح لها بالتفكير في تلك المقابلة التي حدثت بينها وبين ذلك الرجل الفظ المخيف.

كان هناك اجتماعات مع المحامين والمحاسبين، ومع الوكلاء والدهانين وعمال الجص. ثم هنالك نصف ساعة لا تنسى مع السيد بيار مخدومها السابق الذي كان دوماً يتهمها بعدم امتلاكها أية موهبة، وبالادعاء... لينتهي به الأمر، بعد أن علم برغبتها في تركه، إلى أن أوشك على التوسل إليها بألا تتركه، محاولاً إغراءها بمضاعفة راتبها على أن تبقى في خدمته.

توالت كل هذه الأحداث معاً، وبسرعة. فقد اعجبت أوليفيا ببناء ضيق مؤلف من أربع طوابق، في شارع مانهاتان. فدفعت قسماً من قرض تشارلز، ومن ثم أصبح المكان لها. فأصبح الطابق الأعلى شقة صغيرة وإنما مريحة لها لتنهي، بذلك، سنوات امضتها تنام على الأريكة. أما الطوابق الثلاثة الأخيرة فقد حوّلتها إلى قاعات تصميم الديكور ومعارض للأثاث والذي كان حلمها على الدوام. ومن هنا جاء الاسم الذي أطلقته على محلها، وهو (حلم أوليفيا).

صممت زخارف كل شبر من المكان، وهكذا لم تعد غرف العرض هي وحدها الجميلة المزخرفة، كما كان الحال حيث كانت تعمل عند بيار.

لطالما حاولت، بالاشتراك مع دولسي تشامبرز الموظفة التي كانت تعمل معها عند بيار، حاولت اصلاح مظهر المكان، ولكن أصص النباتات، ولوحات الأقمشة المنقوشة جعلت الأمر صعباً.

كانت دولسي قالت لها ذات يوم: «عندما يصبح لي محلي الخاص، ستكون مساحته مليون قدم، وعرض النوافذ من الجدار إلى الجدار، وارتفاع السقف مئة قدم.»

فابتسمت أوليفيا يومها: «أما محلي أنا الذي سأمتلكه، فستكون مساحته ألف مليون قدم مربع وارتفاع سقفه ألف قدم. ولن يكون هنالك جدران مطلقاً، سأضع زجاجاً بدلاً من الجدران... زجاج، زجاج في كل مكان، ما رأيك؟»

«سيكون المكان كالحلم.» وتنهدت دولسي.. والآن، قد تحقق هذا كله، فشكراً لرايا وتشارلز.

حسناً، ربما لم يكن كل شيء كما تريده تماماً. وابتسمت اوليفيا قليلاً وهي تنظر من خلف مكتبها في الغرفة الواقعة في الطابق الثاني حيث تعمل هي ودولسي الآن.. فقد أحضرت معها زميلتها هذه. ولم يكن المكان، حسب حلمها، بمساحة الف مليون قدم مربع ولا ارتفاع السقف ألف قدم، ولكنه كان فسيحاً مشرقاً ومليئاً بالألوان الزاهية.

حملت اوليفيا دفتر التخطيط، ومشت ببطء نحو النافذة، كانت سعيدة في أغلب الأوقات، وان كان هنالك بعض الظنون أو الشكوك أحياناً، فانها لا تتحدث عنها إلى رايا.

أما تشارلز فقد تصرف كسيد ممتاز خلال الأسابيع الماضية. فهو لم يجعلها تندم لحظة واحدة على قبولها ذلك

القرض منه، ومع هذا، لم تستطع إلا أن تفكر في أن تشارلز الذي أقامت معه المشروع، وتشارلز المعجب برايا، هما شخصان مختلفان نوعاً ما. وفي السبب الذي حمل رايا تحرص على إبقاء أمر علاقتهما سراً.

كانت رايا قد فسرت لها الأمر بأن المحامي كان نصح تشارلز باخفاء الأمر إلى أن يتم الطلاق. واضافت متأوهة ان هنالك أيضاً أبويها.

«انك تعرفين والدي، يا اوليفيا.»

وكانت اوليفيا تعرف ذلك جيداً، كان والداها يدللانها دوماً، ولكنهما لم يكونا يسمحان لها أبداً بأن تنسى انها في حمايتهما وعليها ان تتبع ارشاداتهما على الدوام.

سألتها: «اتعنين انهما محافظان نوعاً ما؟»

فعادت رايا إلى التأوه، قائلة: «احسن وصف لهما هو التعفن وضيق الأفق، فإذا انا اخبرتهم عن تشارلز، فسيجن جنونهما، سيقولان انه يكبرني بكثير، وسيتملكهما الذعر عندما يعلمان أنه مازال متزوجاً...»

قالت لها اوليفيا برقة: «ربما كان عليك ان تفكري.»

«اسكتي يا اوليفيا فانت لا تعرفينه، انه يملك طاقة وحيوية رجل في منتصف عمره، أما بالنسبة إلى زواجه... فقد سبق واخبرتك أنه زواجاً تعيساً منذ سنوات.»

«ومع ذلك، فكل هذه الأعذار، وهذا التخفي...»

قالت رايا بحزم: «انه ضروري إلى ان يتم طلاقه. على كل حال، سنذهب معاً بعد ذلك، إلى فيغاس ونتزوج ثم اواجه والدي بعد ان يكون كل شيء قد انتهى.»

ولم يقنع هذا اوليفيا ولكنها لم تشأ ان تضع رايا في

موقف الدفاع. فقالت: «انني فقط، لا اريد ان اراك تتألمين.»

فابتسمت رايا، عند ذلك، ومدت يدها تمسك بيد اوليفيا، هامسة: «اعلم ذلك، آه، يا اوليفيا، لشد ما انا مسرورة إذ عدنا إلى ماكنا عليه من صلة وثيقة، فقد اشتقت اليك.»

قالت وهي تشد على يدها: «وانا أيضاً.» وبهذا انتهى الحديث في ذلك الموضوع.

ثم هناك ادوارد آرتشر. كان هذا جنوناً، ولكن اصطدامهما البشع ذاك، لم يبارح ذهنها، وكأنه، كان في انتظار ان تجد وقتاً تفكر فيه في شيء يختلف عن الخطط الهندسية وتخطيط هياكل الأبنية.

وكانت هذه سخافة، لقد وقع ذلك الحادث منذ شهر تقريباً، وهي لم تره منذ ذلك الحين.

لماذا إذن، تفكر في ذلك الآن؟ فصورته تأتيها بغتة، لقد تألقت عيناه بالمشاعر، وفيما بعد، اخذ يهينها بتعليقاته الساخرة ذات المعنى، لقد ألقى عليها نظرة تقول بوضوح ان بإمكانه الحصول عليها، لو شاء ذلك، ويمكنه التغلب عليها وجعلها تبكي شوقاً إليه...

فاضت نفسها بالمذلة، ووضعت جبهتها على زجاج النافذة.

«أوليفيا؟» سقط دفتر التصاميم من يدها وهي تستدير نحو الصوت. كانت دولسي تقف عند عتبة الباب وقد أحاط شعرها الأشقر بوجهها المنقط بالنمش: «إنني آسفة، فلم أقصد أن أجعلك تجفلين مني.»

فازدردت اوليفيا ريقها: «لا بأس. كنت احاول... احاول ان استقر على رأي بالنسبة للتصميمات التي...» وانحنت

تلتقط الدفتر، ثم اضافت: «ولكنني لم استقر على أمر، هل حان وقتي لاستلام دوري كبائعة في غرفة العرض؟»

«كلا، انما هناك شخص يسأل عنك.»

«هل هو زبون؟» كل افكارها عن ادوارد آرتشر قد تلاشت الآن، وكل طلب جديد هو حدث هام.

«كلا، لا اظن ذلك.»

فتأوهت اوليفيا بشكل مسرحي، وهي تقول: «آه، حسناً، لا أدري ماذا بقي عليّ القيام به الآن... من يمكن ان يكون؟ دائرة الصحة، مصلحة الضرائب، مديرية العمل... ما الذي يطلبه رجل مني اكثر من ذلك؟»

«الشيء الكثير... إلا إذا كان بالغ الحماقة.»

فتوقف قلب اوليفيا عن الخفقان، وهتفت دولسي: «اوليفيا؟» ولكن هذه كانت قد استدارت نحو مصدر ذلك الصوت الماكر الناعم.

كان ادوارد آرتشر يقف عند عتبة باب القاعة المفتوح. وكانت بذلته الكحلية مفتوحة على قميص بني اللون وربطة عنق قاتمة، وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه. وابتسم وهو يرى عيني اوليفيا تحدقان فيه بذهول.

لم تتردد اوليفيا في ان تقول بحدة: «كيف تجرأت على المجيء إلى هنا؟»

فاتسعت ابتسامته بكسل وهو يجيب: «يا لها من طريقة عنيفة تستقبلين فيها زبوناً.» وجالت عيناه على ملابسها والبزة ذات اللون البيج التي كانت ترتديها، لتصعد مرة أخرى وتستقر على وجهها: «أم ان تشارلز زودك بكل الزبائن الذين تستطيع فتاة التعامل معهم؟»

فتوهج وجه اوليفيا. انه يعود إلى مثل اقواله تلك... وهنا، في مكتبها هي.

وعاد يقول: «لا انصحك بالاعتماد على تشارلز كثيراً، يا اوليفيا.» ودخل إلى الغرفة ثم سار في أنحاءها حيث اخذ يتأمل التصميمات الملصقة على الجدران، ثم قال بعد لحظة بصوت بالغ النعومة: «في الواقع، لو كنت مكانك لما اعتمدت على تشارلز ابداً بعد الآن.»

رفعت رأسها قائلة ببرود: «انني لا ارحب بك هنا، يا سيد آرتشر.»

لكنه تجاهل كلامها حتى انه لم ينظر إليها، وتوقف بدلاً من ذلك، يتفرج من النافذة على الحديقة الصغيرة، ليستدير ويتقدم نحوها، بعد ذلك، وهو يقول باسماً: «هذا حسن، حسن جداً، من كان يظن ان تلك الكذبة الصريحة ستنجح، يا اوليفيا؟ إذ تخبرين تشارلز العجوز أنه ليس بإمكانك قبول ما كان قدمه إليك، في ذلك اليوم، وتقنعيه بانك لا تريدين نقوده...»

«اخرج.» وتقدمت نحوه خطوة. «اتسمعني يا سيد آرتشر؟ اخرج من مكتبي في هذه اللحظة.»

اتكأ على حافة النافذة عاقداً ذراعيه فوق صدره: «يا للغرابة، ان تشارلز كان دوماً عجوزاً غبياً بالنسبة إلى...» وحامت عيناه مرة أخرى ببطء شديد، وأضاف: «مع انني الآن بإمكاني تقريباً ان ادرك السبب.»

تنحنحت دولسي: «اوليفيا؟ هل... هل أقوم بشيء؟» واخذت تنقل النظر بينهما وهي تكمل قائلة: «اعني هل تريدين استدعاء البعض... مثل...»

«يمكنك ان تخرجي هذا السيد من هنا، يا دولسي.»

تلاشت ابتسامة آرتشر وقال: «انني لست خارجاً.»

فتقدمت دولسي من اوليفيا هامسة: «ماذا تريدينني ان افعل؟»

سبق آرتشر اوليفيا بالإجابة: «انها تريدك ان تخرجي وتغلقي الباب خلفك. اليس كذلك يا آنسة هاريس؟»

أجابت اوليفيا بسرعة وهي تكاد تلهث: «كلا، لا تذهبي يا دولسي.» واجفلت وهي ترى صوتها يرتجف. ما الذي فعله بها؟ ان هذا المكان مكانها هي وليس مكانه. إنه هو الغريب. ومنحها هذا الادراك قوة لتقول: «إذا كان لديك ما تقوله، يا سيد آرتشر، فالأفضل ان تتفضل به.»

فأشار برأسه نحو دولسي، قائلاً: «اخبريها بأن تخرج.» لقد بدا عليه الجد تماماً الآن. وبعث القشعريرة في جسد اوليفيا، شيء بدا في عينيه وفي توتر فمه: «ان لدينا، انت وانا، شيئاً ينبغي ان يقال، يا آنسة هاريس، والأفضل ان نتحدث في الأمر على انفراد.»

«اوليفيا؟ هل... هل انادي الشرطة؟»

ادوارد آرتشر في ايدي الشرطة؟ جعلتها هذه الفكرة ترتجف. ولكن استدعاءهم هي فكرة حمقاء، واوليفيا تعرف ذلك. ان محل احلام اوليفيا يقوم في شارع هادىء. وقد انفقت مبلغاً كبيراً على الاعلانات في صحيفة التايمز وكذلك في مجلات غالية الثمن ولكن زيارة واحدة من سيارة شرطة تتلألأ فيها الأنوار بينما يزعق فيها صوت البوق، زيارة كهذه كفيلة بأن تفسد كل انواع الاعلانات تلك مما قد لا ينهض معه عملها بعد.

قالت بهدوء: «كلا يا دولسي، فذلك ليس ضرورياً، انزلي انت إلى قاعة العرض. اننا لا نريد ان نخسر الزبائن، أليس كذلك؟» وارغمت نفسها على الابتسام.

توترت شفتا الفتاة: «انني سامكث خلف الباب. إذا احتجتني نادي عليّ حالاً.»

انتظرت اوليفيا إلى ان اغلق الباب، نظرت إلى ساعتها، ثم إلى ادوارد آرتشر وقالت ببرود: «ان امامك دقيقة واحدة.»

توترت ملامحه وقال: «ان حديثنا سيستغرق اكثر من هذا بكثير.»

«دقيقة واحدة، يا سيد آرتشر، وقد ضيعت، حتى الآن خمس ثوانٍ تقريباً.»

فقال وهو ينظر إليها متفحصاً: «لقد اصبح تمثيلك اكثر اتقاناً مما كان عندما تقابلنا لأول مرة. اعني تمثيل دور السيدة ذات الأملاك. ما احسن هذا.»

«لقد نقص الوقت تسع ثوانٍ، يا سيد آرتشر.»

«وماذا بعد ذلك؟ هل ستلقين بي خارجاً؟»

«بقي تسع وثلاثون ثانية، وابتدأ العد العكسي التنازلي.» ومشت نحو زاوية مكتبها. ما الذي يريده، تباً له، بينما اخذت تبحث خلال الأوراق.

«كلانا يدرك أنه ليس بإمكانك القيام بذلك.» فتجمدت في مكانها وهي تشعر به يقف خلفها وتابع يقول: «يمكنني ان اقهرك، يا اوليفيا، ونحن الاثنان نعلم ذلك.»

شعرت بخفقات قلبها تتصاعد... وعندما تأكدت من ان بإمكانها مواجهته دون ان ترتجف، استدارت إليه تسأله

بهدوء: «هل محاولتك ارهابي يجلب شعور الرضا إلى نفسك؟»

فلوى شفتيه قائلاً: «انك تعلمين تماماً ان ليس هذا ما كنت افعله.»

«لأنه إذا كنت تحصل على مرادك بمثل هذا الأسلوب، يا سيد آرتشر...»

وحبست انفاسها إذ سألها: «ألم تفكري بي؟»

أجابت بسرعة على الفور: «كلا.»

«لقد كنت افكر فيك، يا اوليفيا.»

كان صوته رقيقاً، وشعرت برأسها يدور قليلاً.

قالت: «لقد فكرت بك في الواقع، يا سيد آرتشر، فقد حلمت بكابوس مفزع في انك قد تعود إلى حياتي وبفظاظة اكبر من التي سبق وعرفتها فيك.»

«انني افكر فيك واتصورك معي.»

فخفق قلبها، وقالت: «ليس لك الحق...»

«انك تفكرين بي أيضاً، يا اوليفيا، يمكنني رؤية ذلك في عينيك.»

فقالت: «انك مجنون.»

«انني احياناً أكاد اسمعك تصرخين باسمي.»

فقالت بصوت خافت: «أبداً. ولو بعد مليون سنة، حتى ولو كنت آخر رجل...»

تركها فجأة مما جعلها تترنح إلى الخلف مصطدمة بالمكتب، وهو يقول بصوت يماثل نظراته برودة: «حذار مما تقولين، يا عزيزتي. انك لا تعرفين متى تشعرين فجأة بالحاجة إلى آخر رجل في العالم.»

فرفعت يديها إلى مؤخرة رأسها، ثم قالت بصوت مرتجف: «انني لن احتاج شيئاً منك أبداً، مادام لدي...»

«لديك العجوز الحلو تشارلز؟ يالهذه العاطفة المؤثرة، يا اوليفيا.»

كانت تريد ان تقول، مادام لدي يدان اقوم بهما بعملي. ولكن لماذا عليها ان تدافع عن نفسها امام ادوارد آرتشر؟ فنظرت إليه رافعة وجهها بتمرد: «نعم، أليس كذلك؟ والآن، يا سيد آرتشر، إذا كنت تريد ذكر سبب قدومك...»

«ان العجوز الحلو تشارلز قد مات.»

انطلقت منه هذه الكلمات بخشونة، فابتسمت اوليفيا غير متأكدة مما قال: «ماذا قلت؟»

تسمرت عيناه على وجهها: «لقد سمعتني يا حبيبتي. لقد مات تشارلز. اصبح تاريخاً.»

فنظرت إليه حائرة. مات؟ كلا. لقد رأت تشارلز الليلة الماضية فقط، ولمدة دقائق فقط عندما جاء ليأخذ رايا من مقهى البلازا بعد ان تناولتا القهوة، وكان يبدو في أحسن صحة.

ضحك بجفاء: «لقد مات تشارلز العجوز سعيداً، على الأقل.»

فقالت بغباء: «شارلز رايت؟»

فلوى شفته قائلاً: «المرحوم تشارلز رايت، يا عزيزتي، كم تشارلز في حياتك؟ ربما علينا ان نضع لهم ارقاماً... تشارلز رقم واحد... تشارلز رقم...»

ميت... ان تشارلز ميت. رايا... آه، ماذا عن رايا... همست: «هل هو ميت حقاً؟»

«وشبع موتاً.»

فنظرت إلى ذلك الوجه العنيف المتحجر الذي أمامها: «كيف بإمكانك ان تتحدث بهذه الطريقة، أليس لديك أية مشاعر؟»

«لماذا يكون لدي مشاعر نحوه. ليس ثمة من يحزن على وغد.»

لاح امامها وجه رايا. فقالت بصوت ناعم: «هناك من سيحزن.» واحنت رأسها ورفعت يديها إلى عينيها.

فأطلق شتيمة خافتة، ثم قال: «لو انني عشت ألف عام، فلن افهم ابداً ما الذي يجعل امرأة تبكي.» وامتدت ذراعاه تمسكان بها وهو يسير بها نحو الباب.

فشحب وجهها ذهولاً، ورفعت يديها تدفعه عنها: «ابتعد عني.»

دفع الباب ثم خرج إلى الردهة، وانطلقت من بين شفتي دولسي شهقة حادة.

قال لها بلهجة متوترة: «ان الآنسة هاريس ليست على مايرام. اين يمكننا ان نمددها.»

«اوليفيا، اوليفيا... ما الذي فعله بك؟ اتريدينني ان استدعي الشرطة؟ أو الاسعاف؟ هل انت بحاجة إلى سيارة الاسعاف؟ آه، يا اوليفيا...»

«انني بخير، يا دولسي، تباً لذلك. ان السيد آرتشر...»

فقال بخشونة: «لقد وجهت اليك سؤالاً، يا فتاة. اين يمكن ان نمدد الآنسة هاريس؟»

أشارت إلى أعلى بإصبع مرتجف: «في الطابق الأعلى. اوليفيا، هل...»

ولكنه كان قد مر متجاوزاً دولسي وكاد يصل إلى شقة اوليفيا.

قالت: «هل لك ان تتركني من فضلك؟ انك تجعل نفسك تبدو أحمقاً، يا سيد آرتشر، انني لا اريد مساعدتك، لا اريدها. اتسمعني؟» فتجاهل احتجاجها، ودفع الباب بكتفه ثم دخل إلى غرفتها.

اجتاز الغرفة بسرعة ومددها على الأريكة، ثم تراجع واخذ يحدق فيها عابساً.

«اين تضعين عصير البرتقال أو الليموناضة؟ ماذا كنت تقدمين لتشارلز حين كان يزورك؟»

فنظرت في عينيه. لم يكن في وجهه أي تعبير. ولكن السخرية في صوته كانت بمثابة الصفعة، قالت ببرود: «انه لم يكن يزورني، وانت تغيظني...»

«لا تقولي هذا، لقد كان يأتي إلى هنا باستمرار.» فعقدت ذراعيها فوق صدرها: «كان يزور المحل، انما ليس شقتي ابداً... وهذا ليس من شأنك.»

«نعم، صحيح، ولماذا يزورك مادام لديه مكانه الجميل الذي اعده لأجلك في سوتون بلايس؟»

«ماذا؟»

«هيا، لقد قمت بدورك جيداً. ولكن هذا التمثيل انتهى.»

فقالت وقد ضاقت عيناها: «لقد كان تشارلز رايت رجلاً طيباً.»

فقال بابتسامة سريعة: «خصوصاً بالنسبة إليك، وهذا يجعلني افهم سبب هذه النوبة الهستيرية التي اصابتك بعد إذ شعرت بخسارتك الفادحة.»

فقالت ببرودة: «انني أكره ان افسد عليك هذه اللحظة من المسرحية، يا سيد آرتشر، ولكنني لم اكن فريسة لنوبة هستيرية.»

فهز كتفيه: «قولي ما تشائين.»

نهضت واقفة وهي تقول: «وداعاً يا سيد آرتشر. كنت اتمنى لو استطيع القول انني سررت برؤيتك، انما...»

فهز رأسه، ثم اتكأ على الجدار مرة أخرى، قائلاً: «انني لن اخرج الآن، يا آنسة هاريس.»

«بل ستخرج، فقد انتهى حديثنا.»

ابتسم قائلاً: «مازال لدينا الكثير منه، مثلاً، ما الذي فعلته لتشارلز العجوز، لتقتليه؟»

شحب وجهها: «ماذا؟»

فضحك قائلاً: «دعيني اعيد صياغة كلماتي. ما هي الوسائل الحاذقة التي استعملتها معه، الليلة الماضية؟»

حدقت اوليفيا فيه: «اتريد ان تقول... هل تلمح إلى... إلى انني، وتشارلز كنا...»

«انني لا ألمح إلى أي شيء.» واقترب منها بسرعة وهو يقول بصوت ناعم يبطن التهديد: «لقد رأيته، يا اوليفيا. لقد رأيت قطعة من الدانيتلا السوداء تركتها انت ملقاة على الأرض...»

فمشت من جانبه قائلة: «ليس علي ان استمع إلى هذا الكلام الفارغ.»

«من المؤسف جداً انك لم تكوني معه عندما لفظ انفاسه الأخيرة، يا آنسة هاريس. ان حبيبك على كل حال...»

فتدفقت الدموع من عينيها وهي تحاول التملص من قبضته: «تباً لك، انه لم يكن حبيبي.»

«كلا؟»

«كلا. لقد كان...»

كادت تقول انه كان حبيب رايا، ولكن لا احد يعرف هذا، وكيف يمكنها ان تلفظ اسم رايا قبل ان تتحدث إليها أولاً؟ وبجانب ذلك، فليس عليها ولا على رايا إيضاح الأمر لهذا الرجل. فهو من أقرباء زوجة تشارلز كما سبق وقالت رايا، وكل اهتمامه، بالنسبة إلى تشارلز، هو ان يجد طريقة يضع بها يده على ثروة الأسرة. حسناً، يمكنها أن ترى ذلك بنفسها الآن، ان ادوارد لا يهتم أبداً بموت تشارلز.

قالت له بجمود: «ليس علي ان اوضح لك شيئاً.»

فضحك: «كلا؟ اظن معك حق. ولكن ربما من الأفضل تحسين سلوكك نحوي، يا طفلتي، باعتبار انك خسرت مورد رزقك.»

«ليس علي ان اتقرب منك، ان ليس لك الحق في...»

فقال هامساً: «ان لي كل الحق. ان عليك سندات للدفع، فكل الأملاك تحت يدي. عليك ان تتخلي عن الشقة في سوتون بلايس بالطبع.»

«انك مجنون، فأنا لا املك...»

«ولكن هذه الشقة مريحة جداً، وربما تركتها لك، وكذلك محلك هذا الجميل الذي صممته بيدك.»

فصرخت به: «اخرج. تباً لك، يا ادوارد آرتشر.»

«من المفروض ان تكوني لطيفة معي كما كنت معه. يمكنني ان اكون كريماً معك كما كان هو. كما انني ساسعدك بحبي، وانت تعرفين هذا.»

«ايها الوغد. انني اكرهك.»

www.elromancia.com

فجمد في مكانه: «احقاً؟ ولكنني لا اظن نفسي اريد حقاً ان آخذ ما تركه رجل آخر.»

فلم تتردد، ورفعت يدها مسددة إليه صفعة قوية دوت في أرجاء الغرفة، وبدت في عينيه نظرة هائلة ولكنها لم تهتم بها وهي تهمس بصوت مرتجف: «أيها الوغد. ليس لك ان تدخل إلى بيتي تعاملني بهذا الشكل. من تظن نفسك؟»

تمهل لحظة طويلة قبل ان يقول: «كنت اظنك تعرفين من انا. انني ابن زوجة تشارلز رايت.»

فحدقت فيه غير مصدقة: «كلا، هذا غير صحيح. انك فقط من اقرباء زوجته...»

«انني ابن زوجته يا آنسة هاريس، وقد جئت اليك لأعلمك ان ليس بإمكانك ان تحتفظي لنفسك بقرش واحد مما يخص والدتي قانونياً.»

«والدتك؟ ولكن تشارلز كان قد شرع في طلاقها.»

فضحك: «هل اخبرك بذلك، أيضاً؟ تباً لذلك.» وتلاشى الضحك من وجهه. «اسمعيني جيداً لأنني سأدلي اليك بما عندي مرة واحدة قبل ان اكلف المحامي بالتصرف معك.» وأشار بذراعه بحركة يعني بها كل شيء. الشقة، والطوابق التي تحتها. «لن يكون بإمكانك الاحتفاظ بأي منها. لا هذا المكان ولا تلك الشقة المكتوبة باسمك في سوتون بلايس...»

«أي شقة؟»

«انك ستفقدين كل شيء، يا آنسة هاريس. وانا سأسعى في هذا الأمر مع المحامي. فمن الأفضل لك إذن، ان تخرجي

إلى حيث قد يحالفك الحظ فتعثري على شخص ثري يحتل مكان العجوز الطيب تشارلز.»

فهمست: «اخرج من هنا، انك... انك...» فلاحت على شفتيه ابتسامة سريعة: «ها هي ذي السيدة لا تجد الكلمات أخيراً. استمتعي به مادام ذلك في إمكانك. فهو لن يكون ملكك لمدة طويلة.» وضحك وهو يفتح الباب، ثم يصفقه خلفه، لتصبح اوليفيا، اخيراً، وحدها.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

جلست اوليفيا إلى مكتبها، وشعرها الأسود يتألق تحت المصباح النحاسي بجانبها، كان الوقت متأخراً يقترب من الثامنة من مساء الأربعاء، وكان محلها هادئاً، لا يخترق سكونه سوى خشخشة المستندات التي كانت في الملف الملقى على الأرض بجانبها، والتي كانت تتفحصها.

اخذت تقرأها ببطء وعناية، متفرسة في الكلمات بحدة وعنف حتى ابتدأت تتراقص امام عينيها، فرفعت يديها إلى صدغيها تضغط عليهما، وهي تستند إلى الخلف متنهدة بعمق.

لقد اثبتت الأوراق ما كانت تعرفه مسبقاً، وهو ان تهديد ادوارد آرتشر لم يكن سوى تهديد فقط، ومحل «حلم اوليفيا» سيبقى ملكها، ومادامت تدفع السندات بانتظام فليس هناك ما تخافه.

لماذا تركته يرهبها بهذا الشكل؟ انها ليست من ذلك النوع من النساء الذي يحشر في زاوية... وكيف تكون كذلك وهي في طريقها لكي تصبح سيدة اعمال؟ لن يكون عليها أن تقابله بعد الآن، لقد هددها، وانتهى الأمر، وقد كان يعلم، طوال الوقت، ان ليس له الحق في شيء، فالمال هو قرض من تشارلز، طالما تمشت مع شروط الاتفاقية، فلا احد، حتى ادوارد، بإمكانه ان يقوم بشيء بالنسبة لهذا.

أما بالنسبة للعلاقة الشنيعة التي يظنها بينها وبين تشارلز... حسناً، فهذا لا يدهشها، فالرجال امثال ادوارد آرتشر في مثل عالمهم هذا، على استعداد لتصديق أسوأ الأمور، فهم ذوو النعم والأموال، يعتبرون الفتيات والنساء من مختلف الطبقات، مجرد دمى يشترونها باموالهم.

عندما يعلم بأن رايا هي التي كانت صاحبة العلاقة مع زوج أمه، وليس هي، سيسرها ان تنظر شامتة إلى التعبير الذي سيبدو على وجهه.

تنهدت وهي تعيد المستندات إلى الملف. حسناً، ان على هذا الانتظار إلى ما بعد، فليس بإمكانها الآن ان تذكر شيئاً عن رايا قبل ان تتحدث إليها. ورايا لم تكن تتحدث إلى احد، الآن، وكان الاتصال الوحيد الذي حصل منها، هو ارسالها ورقة صغيرة مع شخص بعد زيارة ادوارد آرتشر لها بيوم واحد، وكان مكتوباً في الورقة بخط يد رايا (آواه، يا اوليفيا، انا بحاجة إلى البقاء وحدي، وانا اعلم انك متفهمة لذلك.)

لم يكن امامها ما تفعله سوى انتظار ظهور رايا. وكانت اوليفيا تفكر بذلك وهي تضع الملف في مكانه ثم تغلق الباب وإلى ان يحين ذلك اليوم، عليها ان تغلق فمها وتلتفت إلى عملها، وعلى ادوارد آرتشر ان يستعيد تهديداته الغاضبة و...

«اوليفيا؟»

اجفلت اوليفيا، وهي تستدير في مكانها. كانت دولسي واقفة عند عتبة الباب، وفي كتفها حقيبتها، وهي تحمل فنجاناً يتصاعد منه البخار.

فضحكت بعصبية: «دولسي، لقد افزعتني. كنت اظنك ذهبت من مدة طويلة.»

«اتريدين قهوة؟»

«اشكرك.» تناولت منها الفنجان واخذت منه رشفة: «انه رائع، معك حق، فهذا ما كنت بحاجة إليه. ما الذي تفعلينه هنا؟»

تقدمت دولسي نحوها، واتكأت على المكتب: «من الصعب اخبارك عن ذلك، ولكن هناك شيئاً يجب ان تقرإيه في صحيفة الثرثار.»

«تلك الصحيفة البالية؟ ماذا يهمنا منها لنقرأها؟»

«ان فيها... فيها مقالة عن تشارلز.»

«عن تشارلز؟ ولكن...» وجمدت اوليفيا في مكانها. لماذا تنظر إليها دولسي بهذا الشكل؟ «ربما بإمكانك ان تحدثيني بما تقوله المقالة.»

فقالت دولسي بغضب مفاجيء: «انني اكره هذه الوريقات... أعني ان الرجل كان مجرد شريك لك، وهذا كل شيء... انه...»

«كان تشارلز رايت سنداً لي، فقد قدم لي قرضاً ابدأ به مشروعي هذا، انك تعرفين هذا.»

«بالتأكيد. ذلك ما كنت اعنيه. ولو كان هناك شيء آخر...»

«تباً لك يا دولسي. ماذا تريدين ان تقولي؟»

«اسمعي، وما شأن الآخرين إذا كنتما، انت وهو... كنتما... انني ما كنت لأقول شيئاً، يا اوليفيا، حتى ولا لذلك الرجل من صحيفة الثرثار الذي سيأتي ليصطاد

الأخبار، انني سأخبره برأيي بقذارته إذا هو كتب شيئاً عنك.»

فشحب وجه اوليفيا: «عن... عني أنا؟»

أومأت برأسها بحزن قائلة: «نعم، عنك وعن رايت.»

«أي نوع من الكتابة؟ انه اقرضني النقود لاشتري بها هذا المكان؟ هل هذا ما تعنين؟»

فهزت دولسي رأسها وهي تسحب الصحيفة من حقيبتها: «هاك، ومن الأفضل ان تقرإي بنفسك.»

فأخذت اوليفيا منها الصحيفة، بصمت، وفتحتها ليطالعها هذا العنوان بأحرف كبيرة. (ممول مليونير يتخذ لنفسه منزلاً سرياً) وتحته بكلمات اصغر (منزل سوتون بلايس لتشارلز رايت والمرأة الغامضة ذات الشعر الداكن.)

ارتجفت الصحيفة في يد اوليفيا وهي تنتقل بنظراتها إلى الصورة في اسفل المقال والتي تمثل امرأة طويلة القامة رشيقة الجسم وقد اولت الكاميرا ظهرها، وشعرها الذي يصل إلى كتفيها يتطاير أثناء خروجها من سيارة رياضية. وكان التعليق اسفل الصورة يقول: «اتعرفون هذا العصفور الرائع؟»

أمسكت اوليفيا انفاسها وهي تفكر، نعم، انني اعرفها، انني اعرفها بالطبع.

«ليس لك ان تقلقي.»

فنظرت اوليفيا إليها كانت دولسي تراقبها باهتمام فسألتها ببطء: «لأي شيء اقلق؟»

فرفعت دولسي ذقنها: «انني لن اخبر احداً أبداً.»

فقالت اوليفيا بذهن شارد وهي تعود للتحديق بالصورة: «هذا حسن، انني لا اريد ان يعلم احد، ففي كل ما سيتبع هذا من اعلام و...»

فقاطعتها دولسي: «آه، انني متفهمة لكل هذا، ان السيد رايت ما كان ليقبل بأن يلطخ اسمك بالوحل، فهو دوماً كان يعاملك بكل أدب. ولم يكن هناك من يمكن ان يظن انكما كنتما... كنتما...»

فنظرت إليها اوليفيا بذعر: «ولكن هذه ليست صورتي. انها...»

كادت تقول انها رايا، ولكن دولسي لم تقابل رايا ابداً، فرايا لم تأت لزيارتها منذ افتتاح المحل، هذا إلى انها لا تستطيع قول هذا لدولسي من دون اخبارها بكل شيء. وعادت تنظر إلى الصورة. نعم، انها رايا. ولكنها تبدو مثل اوليفيا لمن لا يعرف رايا. اوليفيا بشعرها الطويل الداكن اللون، اوليفيا خارجة من سيارة تشارلز رايت المرسيدس الصغيرة...

عادت تقول: «انها ليست انا.»

فردت عليها دولسي بعطف: «انها ليست انت بالطبع.»

رفعت اوليفيا نظرها إليها: «هذا... هذا حسن... انني... لقد تأخرت، لمَ لا تذهبين إلى بيتك؟ لقد كان جميلاً منك ان تمكثي لهذا الوقت.»

«اسمعي، إذا كنت تحبين أن تتحدثي... إذا كنت تريدين من يساندك... فيمكنني البقاء معك فترة، أو هل يمكننا الخروج معاً لنأكل شيئاً؟»

أجابت اوليفيا بسرعة: «كلا، اذهبي انت. انني بخير.»

«هل انت متأكدة؟»

أومأت قائلة: «متأكدة. سأصنع لنفسي عجة، ثم اغتسل واجلس في سريري وبيدي كتاب.»

كان هذا وصفاً جيداً، ولكن تحقيقه صعب. فقد وقفت، بدلاً من ذلك، في وسط الغرفة كالحجر، وهي تستمع إلى وقع خطوات دولسي على السلم. ثم إلى صوت الباب الخارجي وهو يصفق خلفها، ثم عادت للجلوس على كرسيها خلف المكتب.

اوه! ما هذا المأزق؟ ادوارد آرتشر في البداية، والآن دولسي. دولسي، من بين كل الناس، تظن بها مثل هذا الأمر؟ لا بأس، ستطلع دولسي على كل شيء عندما تظهر رايا.

واخترق افكارها طنين الجرس الكهربائي الليلي الأمني الحاد فرفعت نظرها وقد اخذ قلبها في الخفقان. هل هو مخبر؟ كلا، لا يمكن ان يكون فليس ثمة طريقة يعرف بها احد اسمها. ليس بهذه السرعة على كل حال.

هبطت السلم وهي تفكر في ان القادم لا بد دولسي، لا بد انها عادت رغم تأكيد اوليفيا لها بأنها بخير، فهذا هو طبعها، لا بأس، ستدخل الفتاة وتشرب معها فنجاناً من الشاي، ثم تعود فترسلها إلى بيتها.

فتحت الباب وهي تقول: «وكيف ارفض فتح الباب لك؟ فأنت غاية في الرقة، وفي الاصرار أيضاً...» وجمدت الكلمات في حلقها. ذلك ان الواقف عند العتبة لم يكن دولسي، بل ادوارد آرتشر.

اخذت اوليفيا تدفع الباب بيديها الاثنتين لتغلقه، ولكنه

كان اسرع منها، واقوى كثيراً، فقد وضع كتفه بين الباب والجدار، ثم دفعه بشدة وهو يقول: «افتحي الباب يا آنسة هاريس.»

أجابت وهي تصرف باسنانها: «اخرج من هنا.» ولكن قدميها اخذتا تنزلقان تحتها وهي ترمي بكل ثقلها على الباب.

قالت لاهثة: «هل تسمعني؟ ابتعد من هنا، وإلا...»

«وإلا ماذا؟ تنادين الشرطة؟» وضحك. «نحن الاثنان نعلم انك لن تفعلي ذلك. والآن افتحي الباب قبل ان أكسره.»

وما ان تراجعت إلى الخلف، حتى دخل هو إلى الردهة المظلمة، واغلق الباب خلفه. فسارت هي نحو الباب تشعل النور، ولكنه أمسك بمعصمها يسألها: «من كنت تنتظرين؟»

فقالت: «اترك يدي.»

فقال يجيب على سؤاله بنفسه: «تنتظرين رجلاً بالطبع، اهو حبيب آخر، يا اوليفيا؟ ولكنك، على كل حال، انتظرت ما فيه الكفاية لكي تنسي خسارتك المأساوية.»

ما الذي يريده؟ تخويفها؟ وعادت تقول بصوت هادىء خفيض: «قلت لك اترك يدي.»

فترك يدها وقال: «ما هذه التصرفات السيئة يا عزيزتي؟ حتى ولا استضافتي بشيء أشربه؟ على الأقل تقدمين إلي كرسياً أجلس عليه. لقد كان يومي طويلاً متعباً.»

فسارت بجانبه إلى قاعة العرض حيث جلست على أريكة، مشيرة إليه بالجلوس امامها على كرسي مقابل. وابتسمت

له بأدب وهي تقول: «لا اظنك هنا لطلب تصميم غرفة لك، يا سيد آرتشر.»

فضحك قائلاً: «كلا، ليس تماماً.»

«لماذا هذه الزيارة إذن؟»

فقال وهو ينظر إلى يدها: «كنت متوقعاً ان أرى اصابعك ملطخة بالحبر.»

فقالت بدهشة:

«لماذا؟»

فابتسم قائلاً: «لا تقولي انه لم يطلب منك احد التوقيع على الاوتوغراف اليوم بعد صدور صحيفة الثرثار يا عزيزتي.»

إذن، فقد اطلع على تلك الصحيفة، واسرعت خفقات قلبها ولكنها اجابت ببرود: «هل تتصور حقاً انني يمكن ان اقوم بشيء كهذا؟»

فضحك بلطف: «في الواقع، لا يمكنني ذلك، فأنا لا اتصور انك تضعين اسمك على شيء عدا ظهر شيك.»

«هل المقالة هي سبب قدومك لزيارتي؟»

فسار في الغرفة إلى حيث تصميماتها تحتل الجدار الخلفي، فوقف يتأملها: «اهي تصميماتك؟ انها جميلة، جميلة جداً في الواقع.» والتفت إليها. «إذن، فلديك موهبة.» وضحك «اعني بالإضافة إلى تلك الموهبة الواضحة.»

فنهضت اوليفيا واقفة: «لقد كنت وجهت إليك سؤالاً، يا سيد آرتشر، وهو، لماذا جئت إلى هنا؟»

فابتسم وهو يسير نحوها: «قولي ادوارد. الا تظنين ان

علاقتنا لم تعد تستلزم الرسميات، يا اوليفيا؟ لقد اصبحنا اقرباء، تقريباً.»

فقدت كل سيطرة على اعصابها، وقالت بصوت خافت: «اريدك ان تخرج من منزلي.»

«ولكنه ليس منزلك.»

«محلي، إذن، لا احب هذه الألاعيب منك نحوي، يا سيد آرتشر، انك تدرك ما اعني.»

«اهذا ما تظنينه، يا اوليفيا؟ ألاعيب؟»

«انك الشخص المسؤول عن... عن تلك المقالة البشعة في الصحيفة. انك من وضع...»

فقال بحدة: «لا تكوني سخيفة. ان آخر ما اريد، هو تلطيخ اسم رايت في الوحل.»

فقالت بصوت يقطر تهكماً: «آه، هذا صحيح، لقد كدت انسى، يا للاخلاص.»

«انك حمقاء. ان أمي تحمل اسم الرجل ذاك ام انك نسيت كل شيء عن عبء تشارلز العجوز؟»

فقالت: «لقد سبق واخبرتك ما قاله من انه في طريق الطلاق.»

فضحك بجفاء: «نعم، طبعاً، وإلا لما ارتبطت معه، فأنت لست من نوع الفتيات اللاتي يرتبطن بالرجال المتزوجين.»

فقالت وقد توهج وجها غضباً: «بالضبط، فأنا لست كذلك. والآن، أجبني. لماذا جئت إلى هنا الليلة؟»

صمت لحظة طويلة قبل ان يجيب: «لقد تحدثت إلى محامي تشارلز، هذا النهار.»

فعقدت ذراعيها فوق صدرها وقالت: «وهل في ذلك ما يهمني شخصياً؟»

فابتسم متوتراً: «لقد تحدثنا عن وصية تشارلز.» واخذ يذرع الغرفة مرة أخرى، ثم عاد يقول: «اظنك تعلمين مضمونها، أليس كذلك؟ ان النساء امثالك لا يتركون شيئاً للصدفة. انهن يفصحن عن ثمن العلاقة قبل ان يبدأنها.»

فقالت:

«ادخل في الموضوع من فضلك.»

فقال: «لقد ترك شيئاً قليلاً (لصديقتين له حميمتين) كما قال.»

لم تخطىء في فهم ما تتضمنه كلماته تلك، فحدقت فيه قائلة ببرود: «انني لم اكن احدى (صديقتيه الحميمتين هاتين). فهذا لا يشملني.»

«بل يشملك طبعاً، يا عزيزتي، فالفتى العجوز اعفاك من رد القرض.»

اذهلها الخبر: «ماذا؟»

لوى شفتيه، قائلاً: «كانت هذه ميزة سخية فيه، أليس كذلك؟ انها ليست بسخاء عطاياه الأخرى، انما...»

فهزت اوليفيا رأسها: «لا استطيع... لا استطيع تصديق ذلك. لم احلم قط...»

«ألم تتعبي من هذه الألاعيب؟»

حدقت فيه وقالت: «ولكنني لم اكن حبيبته.»

فضحك بجفاء: «كلا؟ من كانت إذن؟ شبيهتك؟»

ففكرت بيأس، رايا. انها رايا، وليس أنا... ولوى شفتيه

www.elromancia.com

ازدراء: «ماذا جرى، يا عزيزتي؟ هل فقدت القدرة على الكلام؟»

فقالت بضعف: «لقد كنا... كنا مجرد صديقين. حتى ولا هذا. كنا معارف، انا وزوج امك...»

«سيصلك طبعاً، بلاغ رسمي من محامي رايت.» وشملها بنظرة جعلتها تشعر بنفسها قذرة، ثم تابع يقول: «كنت انشد فقط سرور ابلاغك هذا الخبر بنفسي.»

«لو انك تستمع إلي فقط يا سيد آرتشر...»

فقال بصوت بارد: «وما هو هذا الذي تريدين قوله مما يهمني سماعه؟»

ففكرت اوليفيا في ان ما تريد قوله هو ان لا شيء بينها وبين زوج أمه.

ابتدأت تقول: «يا سيد آرتشر...» ثم سكتت إذ رأته يراقبها بعينين ضيقتين وقد كست ملامحه السخرية وعدم التصديق، فعلمت انه لن يصدق شيئاً مما ستقوله.

وهكذا قالت بصوت يماثل صوته برودة: «الحق معك تماماً. فليس لدي ما اقوله لك. لا شيء مطلقاً.»

فلمع شيء في عينيه سرعان ما تلاشى، ليقول بفتور: «كلا؟ كنت اعلم ذلك.»

فشدت من قامتها: «الوداع إذن يا سيد آرتشر.»

فقال بلطف: «لا بد ان ذوق بتشارلز العجوز قد تغير في الشهور الاخيرة. فأنت مختلفة عن كل النساء اللاتي اعتاد رفقتهن.»

فقالت بصوت يرتجف غضباً: «لا يوجد في العالم أجمع امو ال تكفيك لشرائي.»

فضحك. ثم انحنى قائلاً بلطف: «تصبحين على خير، يا اوليفيا.»

بقيت جامدة في مكانها وهو يتجه نحو الباب، ثم سمعته يفتح ويغلق، عند ذلك، تقدمت إلى الباب فاقفلته جيداً، ثم تحولت صاعدة نحو شقتها.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

حضرت دولسي في الصباح التالي حاملة علبة من الشوكولا المتجر القائم في آخر الشارع، وكانت عاقدة العزم على الاعتذار.

قالت على الفور: «انني آسفة لما قلته الليلة الماضية. فعندما كنت اقول لك انه مهما فعلت فهو شأن خاص بك، نسيت اكثر الاشياء اهمية.»

فأجابت: «ليس لك ان تقدمي أي اعتذار.»

«ادركت اخيراً ما كنت قلته لي.. وهو ان تلك الفتاة التي تبدو في الصورة المريعة تلك، تلك الفتاة التي كان لها علاقة مع تشارلز رايت، لم تكن انت.»

فتنهدت اوليفيا: «كلا، لم تكن أنا. لم تكن أنا على الاطلاق. اما الاعتذار فهو ليس ضرورياً.» ووضعت يدها في يد دولسي. «انني اعلم انك صديقتي و...»

«انني آسفة تماماً لحديثي الغبي ذاك.»

«انه ليس غبياً. لقد كان رقيقاً وعاطفياً وانا اشكرك لأجله.» وابتسمت لها.

فابتسمت دولسي بدورها وقالت: «بدلاً من ذلك اشكريني لهذه الحلوى.»

ووضعت العلبة على مكتب اوليفيا. «لقد استلزم مني، عدم اكل جميع محتوياتها في الطريق، قوة ارادة بالغة.»

فضحكت اوليفيا قائلة: «انك حقاً صديقة مخلصة، يا دولسي.»

كانت كلماتها بسيطة، ولكن ما ان مر الاسبوع، حتى كانت دولسي تمثل لها سترة النجاة.

فقد كانت هي التي هدأتها في أول مرة أثارت فيها صحيفة الثرثار الموضوع تحت عنوان (المرأة الغامضة) والذي كان البداية فقط، كما يبدو، إذ كانت المقالة في المرة التالية اطول وادسم، إذ تحدثت عن الأمور في (المنزل السري سوتون بلايس) فيها تلميحات عن المرأة الغامضة كما ادلى بها خادم متجر للأغذية اعتاد ان يحمل متطلبات المنزل ذاك، وقال انه واثق من انه رآها مرة في الردهة.

وقالت دولسي بمرح تعلق على وصفه ذاك: «يا له من شاهد عيان موثوق به. انه يقول ان المرأة شابة وجميلة جداً، ولكن هذه صفات اكثر نساء حي مانهاتان وانها هيفاء القوام، حسناً، ها ان الشهادة اصبحت مكتملة تماماً.»

وحاولت اوليفيا نبذ كل هذا من ذهنها، فهي ورايا غير متشابهتين، في الواقع، إلا بالقوام الاهيف والشعر الداكن الطويل. ولكن صحفاً مثل صحيفة الثرثار لا تتوخى مثل هذه الدقة في كتاباتها، فهي تمزج الحقائق بالخيال وبالتلميحات المسيئة بالسمعة وذلك خدمة لاغراضها، فهي لا تهتم بالحقائق والوقائع إلا قليلاً جداً.

دخلت دولسي إلى مكتبها ذات صباح لتناولها صحيفة اليوم، وهي تقول بهدوء: «الأفضل ان تجلسي.»

فسألتها اوليفيا: «هل كتابة اليوم سيئة جداً؟»

فأومأت الفتاة: «على الصفحة الثالثة.»

فتنهدت اوليفيا وهي تفتح الصحيفة. لقد كانت تتوقع هذه اللحظة منذ ايام، محاولة تهيئة نفسها لها مهما كان

نوع تلك الكتابة، ولكن عندما رأت صورة لنفسها تحتل ثلاثة ارباع الصفحة، تمثلها واقفة امام بابا محلها (حلم اوليفيا)، استحال لون وجهها إلى بياض الكلس.

قالت المقالة: (اوليفيا هاريس، المرأة الغامضة في حياة ممول متزوج) وكانت بقية المقالة تورد، في حروف اصغر، ان رئيس الخدم في مطعم تلك القرية، قد قرر ان اوليفيا هي نفسها (المرأة الغامضة). ولم تعرف اوليفيا، هل تضحك ام تبكي، ذلك ان الرجل لم يعرفها إلا لأنها وضعت توقيعها على فاتورة ثمن الطعام في احد تينك الوجبتين، بعد ان اصرت على ذلك حين مد تشارلز يده لأخذ الفاتورة، اصرت قائلة: «ان هذا يحسم من نفقات العمل.» وها ان اسمها يقفز من تلك الايصالات ليثبت التهمة عليها.

جلست تحدق في الصورة فترة طويلة، ثم رفعت عينيها إلى دولسي، هامسة: «سأرفع دعوى قضائية. وساطلب من هؤلاء الأوغاد، تعويضاً، كل قرش يملكونه.»

«هوني عليك، يا اوليفيا. ربما... ربما كل هذه الأمور ستنتهي من دون...»

وقطع رنين الهاتف على دولسي حديثها، وكان المتكلم مخبراً من صحيفة المستفسر يطلب مقابلة من اوليفيا، ومع انتصاف النهار، كانت اوليفيا قد رفعت سماعة الهاتف. وما الفائدة من الإجابة على المكالمات وهي تعلم ان المتكلم هو اما ان يكون صحفياً يصر على مقابلة معها، وإما زبونة لها تخبرها ببرود انها لا تريد التعامل مع امرأة من نوع (هدامات البيوت.)

قالت اوليفيا لدولسي وقد اثارها الغضب: «ليس ثمة

سوى شيء واحد ينسيني هذا كله.» واختطفت حقيبة يدها واسرعت نحو الباب قائلة: «انني ذاهبة لرؤية المحامي ومن ثم أعلق اولئك الأوغاد على الجدار.»

كان المحامي متعاطفاً معها. ولكنه اخبرها بأن القضية التي تنوي رفعها لا ترتكز على اساس. «ان الذين يكتبون في مثل هذه الأمور، ماهرون في حدود القانون، يا آنسة هاريس.» ووضع اصبعه على صورتها والمقالة المرفقة بها. «انهم لا يخرجون ابداً عن القانون فيقولوا انك حبيبته مثلاً... انهم يقولون فقط انه يمول محلك بمبالغ خفية من المال، وانكما، انتما الاثنين، تظهران في المجتمعات معاً، في اغلب الاحيان...»

فقالت وعيناها تشعان بالغضب: «انهم يقولون ان هنالك علاقة بيننا. وهذا، بالتأكيد، يصلح اساساً للدعوى.»

فهز المحامي رأسه: «ولكن بينكما علاقة فعلاً.»

«انها علاقة عمل، ولكنهم يظهرونها على انها علاقة...»

«هذه هي ألاعيبهم، انهم يقولون اشياء مقبولة تماماً بينما هم يقصدون شيئاً آخر تماماً. انني آسف حقاً، يا آنسة هاريس، فنحن لن نستطيع القيام بشيء إلا إذا صدرت منهم زلة تعتبر قذفاً او تشهيراً.»

فقالت: «لا بأس، ساجد طريقة اتصرف فيها، مع هذا الأمر، بنفسي.»

ولكنه كان تهديداً فارغاً، ما الذي بإمكانها عمله؟ كانت تفكر في ذلك وهي تدخل شقتها. ان رايا وحدها هي التي تملك مفتاح كل شيء... ولكن اين هي رايا؟ تباً لرايا. ما الذي يحدث؟ ولماذا لم تحضر؟

ربما حان الوقت لتتوقف عن القلق لأجل رايا، ولتبدأ بالقلق على نفسها...

تأوهت وهي تغمض عينيها. حتى ولو شاءت ان تعلن للعالم القصة الحقيقية، فما هي الفائدة من ذلك؟ إذ بدون وجود رايا، مصدقة لقصتها تلك، سيظن الجميع انها إنما تكذب لتخليص نفسها من هذا الوضع، وتصاعد رنين الهاتف، كدأبه طوال المساء، فسارت اوليفيا إليه وهي تحدث نفسها عابسة في انها ستستدعي غداً موظف الشركة وتطلب منه رقماً غير مسجل.

رفعت السماعة بعنف لتبادر بالقول: «مهما يكن المتحدث، فأنا لا اقبل أي مقابلات، أو اخذ صور، أو...»

«اوليفيا؟»

فهبطت اوليفيا على طرف سريرها وهي تهتف: «رايا، اين انت؟»

«في مطار كينيدي، اسمعي يا اوليفيا. أنا آسفة لكل ما يحدث معك، ولكنني لست مستعدة لكي...»

«رايا، اسمعيني، يجب ان تعودي. ان كل شيء هنا ينهار وانا اتحمل كل اللوم عنك.»

«كلا، لا استطيع، ليس الآن. ان أمي وأبي سيجن جنونهما.»

فقفزت اوليفيا واقفة: «أمي وأبي؟ وماذا عني أنا؟ هل قرأت الصحيفة هذا اليوم؟»

«انهما يظنانني في إجازة، يا اوليفيا. فلا تفسدي الأمور، ارجوك.»

«سأعوضك عن ذلك، اقسم لك.» ثم انقطع الخط. «رايا؟ رايا!»

وتأوهت اوليفيا غاضبة وهي تلقي بالسماعة بعنف،

وعلى الفور تصاعد رنينه مرة أخرى، فاختطفت السماعة مرة أخرى: «اسمعيني يا رايا...»

«لست رايا، يا عزيزتي...»

كان الصوت صوت ادوارد آرتشر، فقالت ببرود: «ليس لدي ما اقوله لك، يا سيد آرتشر. اظنني اوضحت ذلك تماماً. ماذا تريد؟»

ساد صمت قصير عاد بعدها يقول بشيء من الرقة: «تبدين متعبة، يا اوليفيا.»

«آه، نعم... لقد كان نهاراً طويلاً شاقاً.»

«اتعنين تلك المقالة في تلك الصحيفة اللعينة؟ نعم. لقد قرأتها.»

فأطلقت ضحكة حادة: «أحقاً، ظننت في الواقع، انك انت كاتبها.»

«اوليفيا، انني بحاجة إلى رؤيتك.»

فعادت تضحك: «تصبح على خير، يا ادوارد.»

فقال بحدة: «لا تقفلي الهاتف. الم تسمعي ما قلت؟ انني بحاجة لرؤيتك الليلة. اتعرفين منتجع سفينة الفرح؟»

«ليس لدي رغبة في لقائك. لماذا تكلف نفسك عناء الاتصال الآن؟ عندما كنت تريد رؤيتي في السابق، كنت تدخل منزلي بالرغم عني و...»

فقاطعها: «فكرت في ان من الأفضل هذه المرة، ان نلتقي خارجاً.»

اغمضت عينيها وهي تأخذ نفساً عميقاً: «ليس لدي ما اقوله لك، ارجوك، لا تتصل بي بعد الآن.»

«انتظري يا اوليفيا، لا تقفلي الخط.»

www.elromancia.com

«اعطني سبباً واحداً وجيهاً لعدم اقفال الخط.»

فقال: «انني عالم بأمر رايا باسكومب.»

فهمست: «سأقابلك.»

فضحك راضياً: «كنت اعلم انك ستقابلينني يا عزيزتي.»

كان منتجع سفينة الفرح مكاناً شعبياً يقوم إلى الناحية الشرقية من ينبوع مياه معدنية، ومع ان اوليفيا لم تكن قد دخلت إليه قط، إلا انه كان بإمكانها ان تصفه بكل دقة.

كان صغيراً تعلو في جوه الموسيقى العالية التي كانت تنبعث من جهاز خلف المقهى، وكان دوماً مزدحماً، حتى في ايام الاسبوع. ورأت ادوارد.

عندما تقدم نحوها، شعرت بقلبها يكف عن الخفقان. ولم تفهم السبب في شعورها هذا نحوه. فهو، حتى ولو كان قد أدرك الحقيقة الآن وعرف ان رايا هي حبيبة زوج أمه وليست هي، فهو قد سبق و نعتها بأوصاف لا يمكن لها ان تصفح عنها.

خفت ابتسامته وهو يقف بجانبها قائلاً بنعومة: «انني مسرور لمجيئك، كما انني آسف للاتصال بك في هذا الوقت المتأخر، انما...»

«لا بأس... لا بأس في هذا.»

اتجه بها إلى زاوية قرب المقهى، وهو يمسك بمرفقها بثبات، إلى ان اجلسها على المقعد، ثم جلس قبالتها: «ماذا تريدين أن تشربي.»

فترددت: «لا ادري. لا بأس بكوب من المياه المعدنية.»

وعندما انصرف النادل بطلبهما، قال لها: «لم اكن متأكداً من مجيئك.»

فنظرت إليه قائلة: «كنت تعلم انني ساحضر، يا ادوارد.»

«أحقاً؟»

«نعم. فقد قلت انك عرفت بأمر...» فتلاشت ابتسامته وهو يقول: «نعم. لقد نطقت بالكلمة السحرية، وذلك هو سبب موافقتك على الحضور، أليس كذلك؟»

وعندما وضع النادل امامهما المياه المعدنية وانصرف، قالت له: «كنت... كنت تريد ان تخبرني كيف عرفت الأمر بالنسبة إلى رايا وزوج أمك؟»

فقال ضاحكاً: «وكذلك عنك يا عزيزتي، لا تخرجي نفسك من الموضوع، انني اتذكر ما كنا تعلمناه في المدرسة من ان المثلث هو ثلاثي الاضلاع.»

فتلاقت اعينهما: «وماذا يعني هذا؟»

«ظننتك تريدين ان تعلمي كيف عرفت بأمر رايا، طبعاً لم اعرف هذا منك، يا عزيزتي. فقد كنت مغلقة على شخصية صديقتك كالصدفة.»

فأومأت برأسها قائلة: «انني... انني لم استطع قول شيء. اعني، كيف باستطاعتي ان افعل مثل هذا بها؟ اننا نعرف بعضنا منذ الصبا.»

«كنت تريدين حمايتها، اظن هذا شيئاً يدعو إلى الاعجاب. اما انت فليس عليك تقديم ايضاح لأحد، وهذه إحدى فوائد كونك من هذا النوع من النساء، أليس كذلك؟»

فحملقت فيه. كانت عيناه غامضتين كملامحه، وشعرت بقلبها ينقبض.

وعاد يقول هازاً كتفيه: «على كل حال، ان لدى الآنسة رايا باسكومب أسرة ومكانة في المجتمع عليها ان تساير هما بينما انت بإمكانك ان تفعلي ما تريدين.»

وضحك بهدوء: «وانا وأنت نعلم حقيقتك، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

لم يتغير شيء. لا شيء ابداً، فالأمل الذي تصاعد في نفسها عند وصولها إلى هذا المكان، قد انهار في اعماقها كبالون خرقة دبوس. واخذت تعود إلى الخلف بكرسيها، فسألها: «أين هي؟»

«من؟»

«صديقتك رايا.»

«ليس لدي فكرة عنها.»

«لقد كان تشارلز كريماً جداً معها، يا اوليفيا، كريماً جداً جداً.»

«تباً لذلك، يا ادوارد...»

«لقد ترك لها شركة جيميني للمعلبات.»

فحملقت فيه: «هل لي ان اعرف ماذا يعني كلامك؟»

فقال عابساً: «انها الشركة التي كان أبي قد اسسها. وهي التي بقي تشارلز يستجلبها سنين طويلة، ان تلك الشركة هي ملك لأمي.»

«حسناً، حسناً، انني آسفة... هل حدث هذا؟ ولكن...»

«انني أريد استعادة تلك الشركة، يا اوليفيا، وسأحصل عليها وسأجعل صديقتك رايا تضع توقيعها على كل الأوراق.»

فاحمرت عيناها، وقالت: «انني متأكدة من انك ستفعل هذا.»

«لقد كنت ألقيت عليك سؤالاً. اين هي؟»

«وقد أجبتك عليه، فأنا لا اعرف مكانها.» ورفعت ذقنها متحدية: «حتى ولو كنت اعرف، فلن اخبرك.»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة قاسية: «يا لكما من امرأتين. لقد حصلت هي على الشركة، وحصلت أنت على قرض غير مطالبة به.»

فقالت:

«لقد كان قرضاً حقاً، تباً لك. وإذا لم تصدقني، فتحرّى عن الأمر في المصرف أو عند المحاسب في محلي، أو عند محاسبي زوج أمك. وقد ابتدأت فعلاً بدفع السندات. وساتابع دفعها، تماماً حسب الاتفاق.»

فضحك وهو يقول: «وستكونين قد سددّت المبلغ خلال عشرين عاماً، انه ليس قرضاً، بل هدية. ليس ثمة رجل يدفع مثل هذا المبلغ لامرأة ليس لها تاريخ عملي أو ضمانات إلا إذا كنت تقدمين له خدمات إضافية غير عادية.»

فحدقت فيه لحظة، ثم نهضت فجأة: «تصبح على خير، يا سيد آرتشر.»

فأمسك بذراعها أثناء نهوضها، فقالت بحدة: «دعني.»

اختطفت اوليفيا معطفها من على الكرسي ثم استدارت خارجة. وسمعت صوت ادوارد يناديها، ولكنها تابعت طريقها لتخرج من الباب إلى الشارع. كانت هناك سيارة اجرة واقفة، فاستقلتها معطية السائق العنوان، قائلة: «اسرع، من فضلك.»

استغرق وصولها إلى منزلها عدة دقائق فقط، فنظرت من فوق كتفها والسيارة تبتعد. كان الشارع مقفراً ما يعني ان ادوارد لم يلحق بها، وتنهدت بارتياح وهي تضع المفتاح في القفل، وتصاعد صوت كابح سيارة سوداء وقفت بجانبها، وتوقفت انفاس اوليفيا، وهمست: «ادوارد.» اخذ

قلبها يخفق وهي تدخل المفتاح في القفل، ولكن الأوان قد فات. فقد كان اصبح بجانبها يمسك بها ويديرها لتواجهه، بحركة خشنة، قالت بصوت خطر منخفض: «لا تلمسني، وإلا ناديت الشرطة هذه المرة.»

فضحك: «استمري إذن. قومي بذلك. هيا نادي الشرطة بأعلى صوتك.»

فعبست وهي تحاول التخلص منه: «لا تضايقني يا ادوارد وإلا اخبرتهم بأنني... بأنني سمعت خطوات خلفي وانك... انك كنت تتبعني إلى بيتي...»

«وانا ساخبرهم عن شخصيتك. انك شخصية نيويوركية مشهورة، يا اوليفيا، الا تدركين ذلك؟»

«تباً لك.» وحملقت فيه وقد شحب وجهها. «ماذا تريد مني يا ادوارد؟ يا لك من وغد قذر التفكير. لا اريد رؤيتك بعد الآن.»

«لا بأس.» وادهشها صوته. فقد كان هادئاً ثابتاً. «اريد التعامل معك، يا اوليفيا، انني أريد استعادة تلك الشركة، فهي ملك أسرتي...»

«انها ليست ملكي، وانت تعلم ذلك.»

«ما اعلمه هو انها ملك صديقتك، ولكنني لا استطيع العثور عليها. فهي تخفي نفسها بعيداً عن هنا.»

«هذا أمر لا يعنيني.»

فابتسم مرة أخرى: «بل يعنيك، يا عزيزتي، فأنت تعرفين مكانها.»

فرفعت رأسها متحدية: «ربما.» وكان في قولها هذا من الكبرياء اكثر مما فيه من الذكاء.

«اعطيها هذه الرسالة. اخبريها بأنني اريدها ان تعيد إليّ الشركة. اخبريها بانني اريد رؤيتها فوراً. اخبريها...»

«اخبرها ذلك بنفسك.» ورفعت رأسها مرة أخرى. «هذا إذا استطعت العثور عليها.»

ثم استدارت وفتحت الباب وهربت إلى حيث الأمان في منزلها المظلم.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

كان لوالدة اوليفيا قول مأثور وهي تواسيها لدى اصابتها بكشط في الركبة أو جرح في الأصبع والذي يمثل احزان الطفولة: «كل هذا سينقضي، يا حلوتي.» كان هذا قولها، وهي تأخذ اوليفيا بين ذراعيها. «فقط، فكري بأشياء حلوة، وسرعان ما تشرق الشمس ثانية.»

كل هذا سينقضي، بهذا حدثت نفسها لدى حدوث هذا الانقلاب المفاجيء في حياتها. وقد انقضى فعلاً بعد فترة. وانطوت ذكرى والديها في الأعماق من نفسها لتكون معها على الدوام بينما كانت تكيف نفسها للواقع وهو تربية العمة ميريام لها، والتي كانت في منتهى اللطف نحوها رغم نوع من الانعزالية في طبعها، ثم وجدت صديقة لها في شخص رايا، وهكذا عاد الدفء إلى حياة اوليفيا من جديد، وبلغت اوليفيا مبلغ النساء، وكانت قد اجتهدت في دراستها وحصلت على مهنة، وحياة خاصة لنفسها، انها لم تضعف مرة قط، لا عندما توفيت عمتها، ولا عندما سارت حياتها وحياة رايا في طريقين مختلفين. وهكذا لم تكن بها حاجة قط إلى استعادة ما كانت تعلمته في صباها الأول من صلوات ودعاء.

ولكن ها هي ذي الآن تجد نفسها تفكر فيها، وذلك في اليوم التالي، عندما ادركت من نظرة واحدة إلى وجه دولسي، أن في صحيفة الثرثار مقالة أخرى بغيضة.

قالت دولسي: «ليس من الضروري ان تريها.» ولكنها اخذتها منها، لترى اسمها منشوراً للعالم كله ليراه (اوليفيا هاريس المراوغة) وحدقت في أول فقرة من المقالة، قبل ان تضرب بالصحيفة عرض الجدار.

قالت دولسي: «سأبقى انا هنا وحدي، واصعدي انت إلى حجرتك.»

وهذا ما حصل، إذ صعدت إلى غرفة التصميم حيث جلست إلى المنضدة تتظاهر بالعمل بينما في كل مرة يعلو فيه رنين الهاتف، كانت تعلم أن ذلك يعني الغاء احد زبائنها عقده معهم، وفكرت في ان ترفع سماعة الهاتف، ولكن ما فائدة مكان عمل دون هاتف؟

ورن جرس الهاتف، فاختطفت السماعة، كان ثمة صوت رجل يترنم باسمها. «اووو لييفيايايا.» ثم اخذ يهمس لها بسلسلة من الأقوال البذيئة ما جعل وجهها يتوهج خجلاً.

قفلت الهاتف بعنف، ثم نزلت إلى قاعة التصاميم، حيث وضعت عليها معطفها، ومن ثم هبطت السلم.

قالت بحدة وهي تمر بجانب دولسي: «انني خارجة، ويمكنك انت أيضاً ان تقفلي المحل وتذهبي إلى بيتك.»

فحملقت دولسي فيها: «ولكن هذه ليلة السهر هنا...» ولكن اوليفيا فتحت الباب وخرجت. وكانت في منتصف الطريق إلى الشارع العام حين شاهدت سيارة الهاتف المحلي تتهادى عند الشارع، فقفز قلبها هلعاً، ولكنها ارغمت نفسها على عدم الركض، وان تحتفظ بخطواتها

هادئة، ولكنها ما ان انعطفت إلى الشارع الآخر، حتى أخذت تسرع الخطى.

كانت تريد ان تذهب إلى مكان ما، لتجلس وتفكر، ولكن إلى أين؟ لم تكن الحديقة العامة المركزية بعيدة، ولكن الوقت كان عند الغروب. وهذا وقت غير مناسب للتواجد فيها. وسارت في الشارع بعينين لا تريان... انها تريد ان تفكر... ان تفكر...

وزعق بوق سيارة بجنون. فأطلقت اوليفيا صرخة قصيرة ثم قفزت متراجعة صاعدة على الرصيف، مبتعدة عن طريق سيارة سوداء فارهة وقفت فجأة وهي تطلق صريراً عالياً.

كانت اوليفيا ترتجف. ولم تعرف ما إذا كان هذا نتيجة الفوضى التي دبت في حياتها، أم لأنها كانت على وشك الوقوع تحت عجلات السيارة. ولكن هذا لم يهمها كثيراً. وصرخت: «هاي... هل انت مجنون؟ لقد كدت...»

وتلاشت كلماتها الغاضبة. انها تعرف هذه السيارة، وتعرف سائقها. واستدارت لتهرب، ولكن الوقت كان قد فات، ذلك ان ادوارد كان قد ترك سيارته، ليمسك بكتفيها ثم يديرها نحوه، ليسألها وقد شحب وجهه الثائر: «هل انا المجنون أم أنت السائرة كالنائمة في زحمة السير...»

«وماذا تظن هذا؟ سباق سيارات؟ هناك أضواء السير إذا لم تكن تعلم...»

«هذا صحيح. واللون الأحمر يعني اتوقف، هل هذا صعب الفهم عليك إلى هذا الحد؟»

«اسمع، يا سيد آرتشر..»

«بل اسمعي انت، يا آنسة هاريس، ان آخر شيء احتاجه الآن هو...»

فقالت ثائرة: «لا تصرخ في وجهي.»

فصرخ فيها: «انني لا اصرخ.» واخذ بوق سيارة يزعق خلف سيارته التي كانت تسد الطريق، فاستدار ادوارد يرمق السائق بنظرة غاضبة، ثم أمسك بذراع اوليفيا. «هيا نذهب.»

فقالت وهي تلوي ذراعها: «انني لست ذاهبة معك إلى أي مكان.»

فقال عابساً وهو يفتح باب سيارته: «بل ستذهبين. انك خطر على نفسك وعلى الآخرين.»

«تباً لك، انني لا...»

فصرف باسنانه وقال: «اصعدي إلى السيارة وإلا حملتك ووضعتك فيها بالقوة.»

فحملقت فيه، ورأت انه يعني كل كلمة قالها، فصعدت إلى السيارة، وصعد هو إلى مقعده، ومن ثم اندفعت السيارة بهما وسط الشارع.

سارا فترة صامتين، قبل ان يقول: «ما الذي كنت تفعلينه في الشارع هناك؟»

«هذا ليس من شأنك.»

«لقد جعلته من شأني حين حاولت ان تصبحي ضحية تحت عجلات سيارتي. اين كنت ذاهبة في ذلك الشارع المزدحم؟»

فقالت وهي تنظر امامها: «إلى... إلى الحديقة العامة.»

«الحديقة العامة؟» وضحك بحدة. «هل تحبين العيش بين المخاطر؟» فتنهدت، بينما تابع يقول: «هذا كل ما انا بحاجة إليه. هو ان أدوسك بسيارتي. آه، انني استطيع ان اتصور عناوين الصحف الآن (ابن الزوجة يدوس حبيبة الزوج...»

فاستدارت نحوه غاضبة: «أسكت...»

فنظر إليها. «نعم، اسمعي، لقد كان يوماً شاقاً... و»

«وماذا عني أنا، وهاتفي لم يكف عن الرنين، بينما كتيبة من متتبعي الأخبار يخيمون امام منزلي...»

«هل تظنين انك وحدك من يواجه فرقة من المجانين؟» لقد كانت في الواقع، تظن هذا. ولكنها الآن اخذت تفكر في ان لا بد من ان ادوارد وهو ابن زوجة تشارلز، يواجه نفس الضغط، هو أيضاً، ثم فكرت فجأة في ان هناك والدة ادوارد كذلك، ووضعت يدها على جبهتها وهي تفكر، رايا، أين انت يارايا، ولماذا لم تظهري للعيان؟

وتمتمت: «انهم، انهم اشبه بسمك القرش عندما يكون هناك دماء في المياه. انني لم احلم قط...»

«اوليفيا، ان علينا ان نتحدث.»

«انني اعرف ما تريد، يا ادوارد.»

فاطلق ضحكة متعبة وقال: «أحقاً؟ لا اظن ذلك.»

«انك تريد ان تعلم إذا كنت ابلغت رسالتك إلى رايا. حسناً، انني لم اقم بذلك.»

فضحك بسهولة هذه المرة: «ان هذا لا يدهشني حقاً. فأنا اشعر بأنك لست تلك المرأة التي تمتثل للأوامر. هل تناولت عشاءك؟»

فنظرت إليه. العشاء؟ حتى الإفطار لم تتناوله، ما عدا اكواباً لا تحصى من القهوة كانت تزدردها طوال النهار. واجابت: «كلا.»

«ولا انا. ماذا تحبين؟ شرائح لحم سمك؟»

فرفعت حاجبيها: «ماذا تعني بكلامك هذا؟»

«اعني ان علي ان آكل، وكذلك انت. ويمكننا تناول الطعام معاً.» وألقى نظرة عليها ثم قال ببرود: «إلا إذا كان لديك مشروع آخر لقضاء هذا المساء.»

«بالتأكيد. فقد كنت أنوي تناول العشاء مع اثنين من الأثرياء.» واستدارت تنظر من النافذة. «انني افضل الموت جوعاً على ان اتناول معك الطعام.»

«لا بأس. سآكل انا بينما تجلسين انت تنظرين إليّ.»

كانت تشعر بالضعف والتعاسة، وها هي ذي الآن، بعد ان فكرت في الطعام، تشعر بالجوع.

قالت: «لا بأس، انما كونك تشتري لي عشاء، لا يعني...»

فقاطعها: «لا يعني شيئاً، اعرف ذلك.»

وبدت على شفتيه ابتسامة راضية. وكانت مسندة ظهرها إلى الخلف بينما كان هو يخترق الزحام بسيارته، وتساءلت فجأة عما تراه كان يفعل قرب منزلها، هل كان قادماً لزيارتها. لا بد انه في غاية اليأس إذ لا يفتأ يسعى لرؤيتها، مع انه مازال على احتقاره لها وذلك رغم معرفته بأن رايا هي التي ترك لها زوج أمه تلك الشركة الغالية عليه. ولكن الفتيات امثالها، من اللاتي لم يولدن وفي فمهن ملعقة من ذهب، لا يبرئهن احد.

«... في النهار والليل؟»

فنظرت إليه: «هل قلت شيئاً؟»

«كنت اقول ان الصحافيين يستحقون الجلد بالسياط لتعقبهم فريستهم في النهار والليل.»

فأومأت قائلة: «انهم بالغو العزم.»

«ان كلمة العزم هي كلمة مهذبة تستعملينها معهم. كان معك حق حين وصفتهم بسمك القرش، فهو يتغذون على مصائب الآخرين. وكان من حسن الحظ ان استطعت اقناع أمي بقضاء اسابيع مع أختها في بالم بيتش.»

فاستدارت نحوه قائلة برقة: «نعم، لقد كنت افكر قبل برهة في أن الأمر لا بد كان صعباً عليك.»

فهز كتفيه قائلاً: «انني لست القصة التي يريدونها ولكنهم يتلهفون إلى قضاء خمس دقائق مع أرملة تشارلز رايت.»

«ولكن هذا فظيع، فهي مازالت في فترة الحداد. وليس بإمكانها ان تواجه كل تلك الشائعات البشعة و...» سكتت وقد ماتت الكلمات على شفتيها إزاء النظرة التي رمقها بها ادوارد، ليقول ببرود: «يا للعواطف الرقيقة، ان لهجتك تبدو وكأنك تعنين ذلك حقاً.»

فتوهج وجهها، كيف امكنها ان تكون بهذا الغباء، بينما هي حسب ظنه بها، حبيبة زوج أمه؟ استدارت وأخذت تحدق من النافذة.

سألته بفتور: «أين يقع ذلك المطعم، على كل حال؟»

فأجاب وهو يدخل بسيارته مرآباً تحت الأرض: «ها قد وصلنا.» ثم أوقف السيارة: «حسناً، فلنذهب لكي نأكل ونتحدث، كما سبق وقلت لك.»

دخلا المصعد، ومد إدوارد يده يضغط على زر شقة السطح. فمالت نحوه تسأله: «ما نوع هذا المطعم؟» وضربت يدها على زر في المصعد، فتوقف هذا.

أجاب: «إنه ليس مطعماً، ما الذي تفعلينه؟»

فقالت ببرود: «أريد الذهاب إلى البيت.»

«انك لن تذهبي إلى أي مكان قبل ان نتحدث معاً.»

«لا تظنني حمقاء، يا ادوارد. فالحديث يكون عادة في مكان عام.»

«ان صائدي الشائعات سيعرفونك، عندذاك. ان شقتي هي المكان الوحيد الذي نستطيع ان نتحدث فيه مطمئنين إلى ان ليس هناك سمك قرش في الماء.»

«هذا جنون.»

فابتسم ببرود: «أحقاً؟»

وتابعا صعودهما بصمت، بينما كانت تتصور ما ستراه في شقته. ان سكنه في الروف لا يدهشها. فالشقة لا بد انها فسيحة متقنة الأثاث، وفيها العديد من الخدم. اما العشاء، ولو كان عشاء مستعجلا دون اعداد، فهو لا يقل عن خمسة اصناف هذا صحيحاً، فهو إنما يقلل من شأنها إذن.

وانزلقت الأبواب امامهما مفتوحة آلياً فبهتت، إن احدهما فعلاً، يقلل من شأن الآخر... ولكنها ليست واثقة من أيهما هو.

كانت الردهة وغرفة الجلوس خلفها، بالغة الإتساع ويمكن ان توصف بالجمال. ولكن لم يكن ثمة شيء غير عادي بالنسبة إلى الأثاث أو الزخارف.

كان منظر المكان، بشكل عام، مريحاً يبرز عقدة صاحبه. وأدركت على الفور ان ادوارد هو الذي اختار كل شيء، في هذا المنزل، ما جعله مستقراً له.

كذلك كانت مخطئة بالنسبة للخدم. فلم يكن هنالك سوى خادم واحد عرض عليها شراباً حين وصولها، اثناء ذهاب ادوارد إلى غرفته ليغير ملابسه. ولما هزت رأسها رافضة، اختفى تاركاً إياها بمفردها.

سارت في أنحاء الغرفة الجميلة، تستمتع بمنظر المدينة التي تطل عليها الغرفة من خلال جدارين زجاجيين من جدرانها. وعلى الجدار الأخير، جذب نظرها ألوان مشرقة للرسام تشاغال فتقدمت نحوها تقف امام اللوحة، وتمد اصابعها تلمس الإطار بحذر.

«ايعجبك الرسام تشاغال؟»

فقالت وهي تستدير نحو ادوارد: «آه، نعم، يعجبني كثيراً. وخصوصاً هذه...»

وسكتت، كان ادوارد واقفاً عند العتبة ينظر إليها بابتسامة خفيفة تكسو وجهه.

قالت ببرود:

«لم نأت إلى هنا لنتحدث عن الفنون.»

وساد الصمت لحظة طويلة، سمعته بعدها يتنهد قائلاً: «كلا. لم نأت إلى هنا لهذا.» ثم مر بجانبها داخلاً إلى غرفة الطعام.

لم تكن تنوي تناول الطعام حتى ولو لم يكن مؤلفاً من خمسة اصناف، كان عبارة عن بفتيك وبطاطا وسلطة.

سال لعاب اوليفيا لمنظر الطعام، ولكنها نهرت نفسها وهي تضع يديها في حجرها.

نظر ادوارد إليها، ثم قال بأدب: «هل هناك ما يمنعك من تناول الطعام؟»

«لقد سبق واخبرتك بأنني لست جائعة.»

«اذا كنت تفضلين صنفاً آخر...»

«كلا، كلا، اشكرك.»

«يمكن ان يصنع لك كارل بعض العجة إذا شئت.»

فقالت: «لا لزوم لذلك، فهذا الطعام جيد.»

فرفع حاجبيه: «لماذا لا تأكلين إذن؟»

فمدت يديها إلى الشوكة والسكين تقطع بهما اللحم، وألقت أول لقمة في فمها بغضب. كان مذاقها جيداً. حسناً، ستأكل قليلاً فقط.

ولكنها اكلته كله، وعندما انتهت، نظرت إليه: «اظنني كنت اكثر جوعاً مما كنت أدرك.»

وتوقفت عن التنفس وهي ترى الطريقة التي كان ادوارد ينظر بها إليها. وتضرج وجهها احمراراً، وقفت وهي تمر بيدها على شعرها قائلة: «لقد تأخر بنا الوقت، وما زال امامنا ان نتحدث.»

مضت دقيقة أومأ برأسه بعدها قائلاً: «لا بأس.» ونهض. «فلناخذ بعضاً من القهوة ونخرج إلى الشرفة.»

«كلا، ان علي ان اخرج بأقرب وقت يا ادوارد فلدي الكثير من العمل غداً.»

وعادت ذكرى كلماته البشعة تلك إلى ذهنها، فتجمدت قائلة ببرود: «هذا يكفي.»

فأجفل قائلاً: «ماذا؟»

«اعني ان ليس بإمكانك لومي إذ اتساءل إلى أين ستصل، يا ادوارد، انني اعلم ذلك الآن.»

وابتسمت بقسوة. «انني فقط لست واثقة من هدفك مني. هل تريد عنوان رايا؟»

فالتوت ملامحه وبدا من الغضب في عينيه ما ادخل الرعب إلى قلبها. وأمسك بمعصميها يضغط عليهما حتى كادت تصرخ من الألم: «ان بإمكاني ان...»

«ماذا؟ تضربني؟ وهذا أيضاً لن ينيلك ما تطلبه.»

«لِمَ لا؟ وما يدريني انك لن تجدي متعة في الضرب؟»

فسددت إليه صفعة قوية، فأمسك بمعصمها يلويه ما جعلها تصرخ ألماً، ثم لوى ذراعها خلفها وجذبها نحوه.

«هذه هي الصفعة الثانية، اما في المرة الثالثة فسأجعلك تدفعين الثمن.»

فقالت ببرود: «الا يكفي ثمناً، هو اضطراري لصحبتك هذه الليلة؟»

فحدق فيها وهو يتنفس بعنف، ثم تركها مبتعداً عنها. «سانادي حارس الباب لينادي لك سيارة اجرة تجدينها عند الباب لحظة وصولك.»

فاستدارت خارجة من الغرفة. وكانت قد دخلت المصعد عندما سمعته يناديها باسمها فنظرت خلفها. كان ادوارد قد تبعها حتى غرفة الجلوس حيث وقف وخلفه الجدار الزجاجي، سألته: «ماذا تريد؟»

«ما لم نتحدث.»

«ليس لدينا ما نتحدث عنه.»

فتقدم إلى الأمام وقال: «لقد سبق واخبرتك انني اريد رؤيتك، الا تريدين ان تعرفي السبب؟»

فضحكت قائلة: «انني لست غبية، يا ادوارد.»

«انه عن رايا يا اوليفيا.»

«إذا طلبت رايا مني النصيحة، يوماً ما، فسأنصحها بأن تأخذ صك ملكية الشركة وتهرب.»

وقفز قلبها عندما ركض نحوها، ولكنها ضربت زر المصعد، ليقفل الباب في وجهه، بينما انهارت اوليفيا إلى الجدار خلفها.

www.elromancia.com

الفصل السادس

الشيء الوحيد الحسن نتيجة لما حدث في شقة ادوارد، كما اخذت اوليفيا تفكر في الصباح التالي، هو أنها لن تراه بعد الآن، فقد رفضته، واهانته، واكدت له انها لن تطلب من رايا ان تعيد إليه الشركة التي هو في أمسّ الحاجة إليها... كلا، ليس عليها ان تتعامل مع ادوار آرتشر بعد اليوم.

وكان هذا شيئاً حسناً كذلك، ففي حياتها ما يكفي من المشكلات. ما الذي يظن نفسه ذلك الوغد المتغطرس؟ ومشت نحو المطبخ تضع فنجان القهوة الفارغ الذي في يدها، في حوض الغسيل، انها تعرف من يكون، انه شخص لا يهتم مطلقاً بأي انسان آخر ما عدا نفسه. انه شخص يريد ان يستخدمها لخدمة مآربه.

ولكنها هي أيضاً، حسب فكرة ادوارد عنها، ليست افضل بكثير من المتشردين. امرأة قذرة تعرف مكان رايا باسكومب ولكنها ترفض بكل عناد اخباره عنه.

لم يكن يهمها السبب في محاولته ملاطفتها، وعما إذا كان ذلك بقصد استخلاص معلومات منها تضعه في أثر رايا. كل ما يهمها هو انه استطاع اذلالها مرة أخرى...

وصممت هذا الصباح على أصعب قرار في حياتها، وهو اغلاق محلها.

قالت تطمئن دولسي: «ان ذلك لمدة اسبوعين أو ثلاثة

فقط.» وابتسمت لها الفتاة وهي تؤكد لها انها تعلم ان هذا لن يستمر طويلاً.

ولكن قد يكون هذا إلى الأبد، وكانت الاثنتان تعلمان ذلك. ذلك انه لم يدخل زبون واحد إلى المحل منذ ابتداء الفضيحة. ومن دون زبائن، ينهار حلم اوليفيا.

وكان هذا ذنب رايا، رايا التي مازالت مختفية. رايا التي هي السبب في كل هذا، بقي اسمها نقي لم تمسه الشائعات.

وتمتمت اوليفيا... آه لو اعلم أين انت يا رايا، إذن لأمسكت من كتفيك وهززتك إلى ان تصطك اسنانك.

وسارت نحو النافذة، ووضعت مرفقيها على حافتها ومضت تنظر إلى الخارج، لو كانت تعلم مكان رايا، إذن لما بقيت هنا بينما عملها ينهار...

وتوقفت انفاسها وهي ترى ادوارد يخرج من سيارته متجهاً نحو باب المحل، كان يرتدي بنطلون جينز وسترة جلدية، وبان عليه التهديد لكل من عسى ان يقف في طريقه.

وعندما رأته يشمل نوافذ شقتها بنظرته، تراجعت إلى الخلف، وقد اخذت ضربات قلبها تتسارع. ولكن هذه سخافة، ليس بإمكانه رؤيتها، ولا الصعود إليها. ان عليه ان يقف في الشارع ليقرع جرس الباب، وهي لن تجيب، وسيذعن في النهاية ويعود من حيث أتى.

ولكنه لم يفعل ذلك، بل أخذ يقرع ويقرع. وعندما سمعته، في النهاية، يضرب الباب بقبضته بعنف، اخذت تتمتم شاتمة، ثم نزلت لتفتحه حافية القدمين.

نظرت إليه وقد توهج وجهها سخطاً: «ابتعد من هنا.»

فنظر إليها بجمود: «مرحباً يا اوليفيا، ألن تدعيني إلى الدخول؟»

فقالت وهي ترتجف من الغضب: «كلا. انني لن افعل ذلك.»

«أرى انك لم تفتحي المحل اليوم.»

ابتسمت بتوتر: «يا له من استنتاج عظيم. هل انت دوماً بهذه المهارة عند الصباح؟»

«يجب ان اتحدث اليك.»

«نعم، هذا ما كنت قلته ليلة أمس.» وعادت تغلق الباب وهي تتابع: «ولكنني لا اريد التحدث اليك.»

«صدقيني لو كان الأمر بيدي لما جئت إلى هنا.» وما راعها إلا والباب يندفع فجأة، فهتفت به: «ما هذا؟ إلى اين انت ذاهب؟»

أجاب عابساً: «إلى الداخل. فأنا، بعكسك، لا احب ان أرى حديثنا مسجلاً على صحيفة الثرثار.»

فعضت شفتها، ذلك انها، في غمرة الغضب، قد نسيت أولئك المخبرين الذين ابتدأوا يظهرون حول محلها في ساعات غير عادية، ولكن، نظرة منها إلى الشارع عرفت بها انه كان خالياً. وهكذا ضربت بالحذر عرض الحائط.

«آه، لا ادري. اظنها ستكون قصة خلابة بالنسبة إلى صحيفة الثرثار (ابن الزوجة يتبع خطوات حبيبة زوج أمه)... آه، كلا، كلا، فهذا العنوان يبدو ثقيلاً. ولكن لديك فكرة عامة، في عدد نسخ الصحيفة التي ستباع إذا هم كتبوا شيئاً عنك، وكيف انك وجدت طريقك المباشر إلى المرأة التي تقول الصحف انها كانت حبيبة...»

وشهقت وهو يدخلها صافقاً الباب خلفه.

فصرخت في وجهه: «كيف امكنك ان تفعل هذا؟ كيف تقتحم المنزل و...»

«انك في الطريق إلى خسارة محلك، حلم اوليفيا.»

اعلن ذلك بفتور وتأكيد اخرسها بشكل أقوى مما لو كان سدد إليها صفعة.

«ماذا تعني؟»

«اعني ما قلته الآن. فقد خسرت زبائنك، وها انت ذي تقفلين المحل.»

فقالت بسرعة: «لقد اغلقته مؤقتاً.»

فابتسم ببرود: «بالتأكيد. ولكن كيف ستدفعين السندات؟ سند هذا الشهر، مثلاً، لم تجمعي قيمتها، انما انت لست قلقة بهذا الشأن، بالطبع، فقد سامحك بالقرض تشارلز العجوز الطيب.»

فتجاهلت سخريته، وقالت: «ان صحيفة الثرثار لن تستمر بهذه القصة إلى الأبد، وما ان يعود العمل إلى الانتعاش...»

«وكيف ينتعش العمل إذا كان المحل مغلقاً؟ حتى مع هدية تشارلز السخية، فأنت مازلت على حافة الافلاس. ما قولك، يا اوليفيا؟ هل ستتكلمين، أم تبقين على صمتك؟»

فحملقت فيه قائلة: «لا استطيع ان أرى ما هو موضوع الحديث بيننا.»

فقطب جبينه قائلاً: «مشكلتنا المشتركة. رايا باسكومب.» ان معه الحق في ذلك. فإن في يد رايا مفتاح كل الأمور.

www.elromancia.com

رفعت إليه وجهها قائلة: «لديك دقيقتان.»

فضحك بجفاء: «هل تريدين الكلام هنا؟ ان الذي اعرفه ان رجال صحيفة الثرثار يضعون اسلاكاً حول هذا المكان.»

فشحب وجهها: «لا تكن سخيفاً.» والتقت اعينهما فعادت تقول: «لا بأس. امنحني عشر دقائق أبدّل فيها ملابسي.»

عادت بعد دقائق حيث كان ادوارد ينتظرها.

قالت بلهجة متمردة: «حسناً، انا جاهزة»

«فلنذهب.» واستدار متجهاً إلى الباب.

لم يكن لديها فكرة عن المكان الذي كان يقصد، ولم تهتم كثيراً لهذا. ومادام يعرف مكاناً هادئاً لا يصل إليه من يمكن ان يعرفها، فليكن ذلك، وكان ادوارد يسوق السيارة بمهارة وكفاءة تامة، انما اسرع قليلاً مما ينبغي.

قالت: «انني اتساءل متى سنبدأ حديثنا.»

أجاب: «قريباً، ثمة مكان امامنا، ها قد وصلنا.» وأبطأ من سير السيارة وهما يصلان إلى موقف خال.

قالت تسأله حين أوقف السيارة: «ما هو هذا المكان.»

فابتسم: «انه افضل مكان اعرفه اذا كنت أنشد الوحدة.»

فتبعته خارجة من السيارة: «لأن بإمكانك الإبتعاد عن مخبري الصحف اميالاً؟»

اتسعت ابتسامته: «لأن المكان هادىء رائع الجمال، ولأن مخبر صحيفة الثرثار يفضل الموت على ان يتبعنا إلى داخل الغابة.»

رأت اوليفيا، وهي تسير بجانبه داخلة إلى الغابة، ان

الحق معه. فقد كان المكان يوحي بالهدوء والسلام، بقدر ما كان جميلاً، وبدا وكأن الأشجار الداكنة الخضرة تكاد تخترق الفضاء، وكان الهواء يعبق بشذا الصنوبر.

بدا ادوارد غاية في الارتياح وهو يتقدم بخطوات ثابتة، لم تكن لتتصوره في مكان كهذا، فإن ادوارد آرتشر الذي تعرفه ينتمي إلى تلك الشقة الفارهة التي تشرف على المدينة، وليس في مكان كهذا حيث الهواء يشعث شعره.

«... من المدينة؟»

فنظرت إليه، كانا قد خرجا من الغابة إلى شاطىء بحيرة صغيرة تحفها الحشائش، وكان ادوارد مسنداً ظهره إلى جذع شجرة وهو ينظر إليها.

«آسفة، هل وجهت إليّ سؤالاً؟»

فانحنى يلتقط حجراً: «سألتك ان كنت خرجت من مدينة مانهاتان مرة.» وألقى بالحجر في البركة ومضى يراقبه وهو يغوص في المياه، ثم تابع قوله: «أم انك ابنة مدينة فقط؟»

فرفعت راسها بحدة، هل كان يعني شيئاً مهيناً من وراء كلماته البريئة هذه؟ ولكنه لم يكن ينظر إليها، فقد كان جمع قبضة من الأحجار مضى الآن يلقي بها في الماء على التوالي.

قالت ببطء: «انني احب الارياف، انما لا أجد فرصاً كثيرة اخرج فيها إليها.»

فقال: «عندما كنت صبياً، كنت انتظر الصيف طوال السنة، لأننا كنا نذهب، عند ذاك، إلى منزلنا الصيفي في

كونيكتيكت. وكان أبي ما يزال حياً في ذلك الحين، فكان يأخذني معه لصيد السمك.» وابتسم ثم تابع يقول: «لم يحدث ان اصطدنا الكثير مرة ولكن هذا لم يكن مهماً.»

فابتسمت هي أيضاً: «لقد ذهبت لصيد السمك مرة واحدة في حياتي، ولم انجح كثيراً بذلك. لم أكن أعرف كيف أضع الطعم في الصنارة وكذلك رايا كانت...» وسكتت... رايا، رايا... إنها سبب وجودها هنا مع ادوارد... ولسبب ما، نسيت ذلك.

سألها بلطف وهو ينظر إليها: «هل كنتما صديقتي طفولة؟»

«نعم. كنت في العاشرة وكانت هي في الحادية عشرة عندما تعارفنا.»

«زمالة مدرسية؟»

«كلا. كلا. أبداً.» نظرت إليه مباشرة، واضافت: «توفي والداي عندما كنت في العاشرة فأخذتني عمة أبي ميريام للعيش معها.» وسكتت لحظة ثم تابعت: «كانت مديرة منزل آل باسكومب.»

فضاقت عينا إدوارد وقال: «فهمت.»

«أحقاً؟» كانت رأت هذه النظرة من الآخرين مرات بلغت من الكثرة بحيث لم تعد تغيب عن ادراكها. «نعم. لقد صادقتك رايا باسكومب عندما كنت بأمس الحاجة إليها. وهذا يفسر سبب شعورك بمثل هذا الإصرار على حمايتها.»

فقالت وهي تشيح بوجهها: «إنها واجبات الصداقة.»

«لا يبدو أن رايا تؤيد هذه الفلسفة.»

«حسناً، إنها... إنها حزينة. إن موت تشارلز...»

«لا أرى أن ذلك أحزنها أكثر مما أحزنك.»

«إنني أسفت لسماع خبر موته، طبعاً، إنما...»

«يبدو أنه كان لديك صلة عاطفية بتشارلز تخرج عن مجرد... كيف أفسر ذلك؟ مصلحة عمل.»

فشعرت بوجهها يتوهج، فاستدارت إليه بعنف قائلة بلهجة متوترة: «إنك تماثل تلك الصحف سوءاً. إنك لا تعرف أي شيء عني، ومع هذا أراك تسارع في القفز إلى اسوأ النهايات. إن الناس الذين هم أمثالك...»

قاطعها قائلاً بخشونة: «هل كنت تحبينه؟»

«نعم، طبعاً، ولكن ليس...»

«ولكن ليس ماذا؟ ليس إلى الحد الذي تنظرين فيه إلى أكثر من دفتر الشيكات عنده؟»

«تباً لك، يا إدوارد، إنني أبداً لم...»

«كلا، أبداً.. إنك لم تتوقفي أبداً لتفكري في أنه لم يكن سوى عجوز قذر.»

وسكت وقد أصبح تنفسه خشناً متقطعاً، وقد نطقت عيناه بالإدانة، ثم ابتعدت يداه عنها وهو يقول ببرود: «الحق معك. ليس لي الحق في ادانتك.»

فأدارت له ظهرها وهي تغالب دموعاً تفجرت فجأة، وقالت: «كلا، ليس لك الحق.»

سمعته يقول: «لقد جئنا إلى هنا لنتحدث والأفضل أن نشرع في ذلك.»

فأومأت قائلة: «هذا صحيح.»

«أريدك أن تساعديني في العثور على رايا باسكومب.»

«أتعني أنك لم تعد مصراً على أنني أعلم مكانها؟»

فهز رأسه: «إنني أعلم بأنك لا تعلمين.»

ابتسمت بمرارة: «وكيف؟ هل السبب هو براءة وجهي؟»

تردد لحظة قبل أن يقول: «لقد وضعتك تحت المراقبة.»

ففتحت فاها ذاهلة: «ماذا؟ أنت... أنت...»

قال عابساً: «هل كنت تظنين أننا أطفال نلعب يا أوليفيا؟ إنني أريد استعادة تلك الشركة.»

«وأنت على استعداد للقيام بكل شيء للحصول عليها. أظنها تساوى مبلغاً كبيراً؟»

أجاب بابتسامة متوترة: «نعم. هذا صحيح.»

فتوهج وجهها غضباً وهي تقول: «حسناً؟ وما الذي قاله مخبرك السري عني؟ عدا عن أن رايا ليست في بيتي؟»

مرت لحظة قبل أن يقول ادوارد بلطف: «قال إنك لم تستعيضي عن تشارلز برجل آخر.»

فقالت بصوت يهتز غضباً: «أحقاً؟ هل أنت متأكد؟»

توتر فكه وقال: «لماذا لم تتخذي بديلاً له؟ هل ذلك لأنك لم تحتاجي بعد إلى محسن جديد؟»

أجابت بحدة ساخرة: «إنني لست بحاجة إلى محسن مطلقاً. إن بإمانكي إعالة نفسي.»

«لقد أخبرني المخبر السري، في الواقع، أنه لا يبدو أن ثمة رجلاً في حياتك مطلقاً.»

وحامت عيناه في تقاطيع وجهها، ثم تابع قائلاً: «وأنا أجد من الصعب تصديق ذلك.»

«هل أحضرتني إلى هنا لتهينني؟»

فهمس برقة بالغة: «إنك بحاجة إلى رجل... فأنت في منتهى النعومة والرقة...»

فشهقت وقد توقفت عن التنفس: «أنت... أنت...»

فضحك بهدوء: «هذا صحيح يا عزيزتي... أنا ولا أحد سواي.»

همست وهي ترتجف: «لماذا أحضرتني إلى هنا؟»

حدق فيها صامتاً، لحظة طويلة، ثم جذب نفساً عميقاً وهو يعود ليستدير نحو البحيرة: «إن لدي عرضاً لك.»

«عرض؟»

«إنه عرض عمل، يا أوليفيا. إنني سأدفع عنك السندات إلى أن تهدأ هذه الفوضى، وبالمقابل، تساعدينني أنت في العثور على رايا.»

«إنني سأعتبره قرضاً وإلا فلن أوافق.»

فابتسم قائلاً: «قلت لك إنني سأعطيك النقود، وأنت لست في وضع يسمح لك بوضع شروط.»

قالت: «إما أن تقبل، وإما تترك هذا الأمر.»

وأخذت تراقب ملامحه منتظرة الغضب في عينيه ولكن ما رأته فيهما سبب لها الحيرة، ولكنه سرعان ما تلاشى قبل أن تتمكن من تحديده.

قال: «لا بأس. فليكن الأمر كما تشائين.»

وعادا أدراجهما سائرين في الطريق الضيق الذي يحيط بالبحيرة.

«كنت قد تفحصت أشياء تشارلز رايت الخاصة. لقد ترك أوراقاً لا تحصى، مثل إيصالات الفنادق، تذاكر سفر، أعقاب تذاكر مسرح...»

«وما شأن ذلك بالعثور على رايا؟»

فقال: «إنك تعرفينها.... تعرفين الأشياء التي تحبها،

www.elromancia.com

والأمكنة التي تفضلها... أريدك أن تتفحصي بدورك أوراق تشارلز وتري إذا كان فيها ما يذكرك بشيء، فندق مثلاً، مكان منعزل... مكان ما كانت أتت على ذكره في الماضي، قائلة إنه يعجبها.»

كانا قد استدارا حول البحيرة ووصلا إلى حيث تقف السيارة.

قالت: «كنت أخبرتني الآن أنك استأجرت مخبراً سرياً. ألا تستطيع أن تكلفه بالعثور على رايا؟»

«إن ذلك ليس كمن يعرف كل عاداتها، مثلك. فأنت صديقتها.»

أهي صديقتها حقاً؟ ولكن الصديقة لا تفعل ما يقترح عليها إدوارد أن تقوم به؟ إنما.... الصديقة لا تفعل ما تفعله رايا بها، كذلك. لو كانت صديقتها لما تركتها وحدها في هذا الموقف العصيب.

سألها: «حسناً؟ هل ستقومين بذلك؟»

ترددت لحظة، ثم تنفست بعمق: «ولماذا تسألني؟ ليس أمامي طريق آخر.»

فقال: «كلا. هذا صحيح.» وفتح لها باب السيارة، فدخلتها بينما اعتلى هو مقعده خلف عجلة القيادة. وساد الصمت بينهما إلى أن وصلا إلى الطريق العام. وبعد فترة طويلة نظر إليها قائلاً: «سنبدأ بتفحص أوراق تشارلز الليلة في شقتي.»

الليلة وفي شقة ادوارد.

سألها: «هل لديك مانع من ذلك؟»

فسكتت لحظة طويلة، شاعرة بخفقات قلبها تعلو،

ثم أسندت رأسها إلى ظهر المقعد وقالت: «كلا، كلا أبداً.»

فساد الصمت. واستطاعت أن تشعر بنظراته تستقر على جانب وجهها لحظة طويلة، ثم عاد يحدق أمامه من خلال الزجاج وهو يقول بلطف: «إنك فتاة طيبة.»

وضغط بقدمه على «دواسة» البنزين، فانطلقت السيارة بعنف.

www.elromancia.com

الفصل السابع

كان مكتب ادوارد هادئاً، إلا من هسيس الأخشاب في المدفأة. وكانت اوليفيا متربعة على اريكة منخفضة وفي حجرها اوراق تشارلز، وكل عدة ثوان، كانت تنبذ واحدة منها تلقيها إلى الأرض مع غيرها.

رفعت اوليفيا رأسها لدى سماعها قرقعة قطعة من الخشب في المدفأة. تحولت نظرتها إلى ادوارد الذي كان جالساً على كرسي كبير، وقد ألقى برأسه إلى الخلف ووضع ذراعيه على جانبي الكرسي وقد اغمض عينيه، كم بدا متعباً، وكانت تحت عينيه بقعتان داكنتان، وتجويفان خفيفان تحت وجنتيه، وزاويتا فمه منحدرتين قليلاً.

كانت هي أيضاً متعبة. فقد كان اليوم شاقاً، لقد عادا من رحلتهما، صامتين، وعندما وصلا إلى مانهاتان، كانت تعد الثواني للوصول إلى شقتها حيث الراحة والأمان. ولكن ادوارد لم يرجعها إلى شقتها، بل تابع طريقه نحو منطقة النهر حيث بناية سوتون بلايس، ولم تدرك هي ذلك إلا بعد ان أوقف السيارة، في مكان ما من هذه البناية المشرفة على النهر، كانت الشقة التي اطلقت عليها صحيفة الثرثار اسم منزل رايت السري.

استدارت اوليفيا نحوه تسأله: «ما الذي نفعله هنا؟»

فابتسم ببرود: «فكرت في انه قد يكون ثمة شيء بقي متوارياً هنا أو هناك في مخبأك الصغير هذا.»

«مخبئي...»

«هيا بنا يا عزيزتي. سنلقي نظرة سريعة، ثم...»

فقالت بسرعة: «لا أريد الدخول إلى هناك.»

«هل انت خائفة من المصورين؟ لا تخافي، فالصحيفة انتهت من هذا المكان منذ أسبوع.»

أشاحت بوجهها عنه قائلة: «أريد أن اذهب إلى بيتي.»

فقال: «هل ذكرتك رؤيتك لهذه الشقة مرة أخرى، بخسارتك؟ انظري إليّ، تباً لذلك.»

«قلت لك أترك يدي.»

فترك يدها واستدار بحدة يمسك بعجلة القيادة، وهو يقول بهدوء وكأن شيئاً لم يحدث شيء: «لا بأس، لقد فتشت كل شيء في الشقة، مرتين، ولا اظن انني سهوت عن أي شيء ذي أهمية.»

«هل هذا هو المكان الذي احضرت منه الأوراق التي تريدني ان أراها؟»

فأومأ برأسه وهو يتابع السير في زحام الشارع: «نعم، انما البعض منها. سأرسل اليك سيارة هذا المساء لاحضارك، عند الساعة السابعة، فاستعدي.»

نظرت إلى جانب وجهه الخشن، ثم تمنت، فجأة، لو انها لم تقبل بالحضور إلى بيته، وانها لم تتفق معه على شيء.

ولكن الوقت كان قد فات على نقض اتفاقهما هذا. ان ادوارد لن يجعل الأمور تهدأ لو فعلت ذلك. ولكن الوقت لم

يفت على اثبات وجودها، فقالت ببرود: «الساعة السابعة غير مناسبة، فليكن السابعة والنصف، وساحضر بسيارتي. شكراً.»

مضت لحظة صمت، ادهشها ان ضحك، بعدها، وهو يقول: «فقط كوني في الموعد المحدد، يا عزيزتي، فأنا لا احب الانتظار.»

وعندما وصلت إلى بيته بعد ذلك بساعات، لم تكن متأكدة من طبيعة مزاجه. ولكنه عاملها بكل تهذيب وكياسة، وبشكل رسمي تماماً. تنهدت وهي تلقي نظرة على الأوراق الملقاة على الأرض بجانبها، كانت كلها دون جدوى، لقد امعنت النظر في كل فاتورة فندق، وكل ايصال مطعم، ولكنها لم تعثر على إشارة تنبىء بمكان رايا.

«ألم يخدمك الحظ؟» فرفعت نظراتها إلى ادوارد الذي كان يراقبها بوجه جامد.

هزت رأسها: «راجعت كل هذه الأوراق مرتين، وذلك للتأكد. ولكنني لا اتذكر قط ان رايا ذكرت احد هذه الأماكن مرة.»

«هل انت واثقة؟»

«واثقة بقدر امكاني، إذا اعتبرنا الظروف.»

«ماذا تعنين؟»

«اعني انني لم اكن أدون ملاحظات في كل مرة كنت اتحدث فيها إليها.»

«ألم يعن لك أي من هذه الأسماء، شيئاً ما؟» فنظرت إليه وهو ينهض متقدماً من المدفأة: «اظن هذا ما سبق وقلته. ما هذا يا ادوارد؟ اتظنني كاذبة؟»

فهز كتفيه وهو يحرك عيدان النار: «لم أقل هذا.»

«كلا. انك لم تقل ذلك، ولكن من النظر إلى وجهك...»

«إلى أين كان يأخذك إذن؟»

فقالت بعجب: «ماذا تقول؟»

«انه سؤال بسيط يا اوليفيا.» كان العبوس قد تلاشى من وجهه ليحل مكانه الوجوم. «فقد خطر لي أنه لا بد كانت لديه اماكن خاصة تذهبان إليها معاً، مطعم مثلاً، أو اماكن سرية في مكان ما... ما الذي تفعلينه؟»

فأجابت ببرود: «انني اتهيأ للذهاب إلى بيتي. فأنا متعبة بعد هذا النهار الشاق.»

«انني لم اكن احاول التطفل...»

«كلا، ولكنك كنت تحاول اهانتي. وقد نجحت في ذلك.»

«كنت اعني فقط انه ربما كان اخذ رايا إلى مكان كان قد اخذك إليه.»

فقالت ببرود أشد: «انني متأكدة من انه فعل ذلك.» وسكتت لحظة، ثم ابتسمت له ببرود. «ذلك المطعم في القرية وهو الذي تقول صحيفة الثرثار انه كان مكاناً للقاءات لم تكن تنتهي، على سبيل المثال، فقد كانوا يقدمون البيتزا الصقلية الرائعة هناك، وكانت رايا تحب البيتزا.» ووقفت اوليفيا وهي تتابع: «من المعقول جداً انه كان يأخذها إلى هناك.»

«ليس هناك من يحصل له هذا الأمر إلا في الافلام الرديئة، على كل حال، سأجعل ذلك المخبر السري يبحث في تلك الأماكن حول المطعم، ولكن علينا ان نجرب وسيلة أخرى.»

فتنهدت بضعف قائلة: «عندما تحصل على نتيجة، اعلمني بذلك. انما اعمل معي معروفاً واطلب سيارة اجرة تأخذني...»

«ما نوع الأشياء التي تحبها؟ هل هي رياضية؟ أهي تحب رياضة الشتاء؟ التزلج مثلاً وما أشبه؟»

فكرت اوليفيا لحظة، ثم قالت ببطء: «كلا. على الأقل لم تقم بشيء من ذلك عندما كنا اولاداً.»

فمال نحو الأريكة يتناول كتيباً على غلافه صورة كمان: «وماذا عن الفنون؟ هذا يتحدث عن احتفال موسيقي في آسبين... اتظنين انها تهتم بشيء كهذا؟»

فابتسمت: «رايا؟ أشك في ذلك.»

«ولكنها تشتغل في معرض فني...»

«حسناً، انها بذلك تتمشى مع العصر ليس إلا...» وعضت شفتها. كانت تعلم في اعماقها ان هذه هي الحقيقة، فهذا هو طبع رايا. ولكن كان من الصعب عليها ان تعترف عن رايا حتى لنفسها، فكيف لأحد آخر. «اعني انها... كانت قد أخذت دروساً فنية في الكلية.»

فقال بوجه جامد التعبير: «وانت؟ هل هذا ما اغراك على تعلم فن الديكور؟ التمشي مع العصر؟»

قالت بحدة: «لا شيء عصرياً بالنسبة للديكور.»

«كلا؟» والتقط بقية الأوراق وسار بها إلى المكتب حيث دفع بها في احد الأدراج، وهو يتابع قائلاً: «ان الزبونة التي تدخل إلى محل (حلم اوليفيا) لن تجد وقتاً على الأقل لاتمام تسوقها في شراء أشياء تافهة.»

«وكذلك الأمر بالنسبة للزبونة التي تذهب إلى حيث يعمل

ادوارد آرتشر... ما هو عملك يا ادوارد؟ تبيع سندات في البورصة تمشياً مع العصر في محطيك؟»

فرفع حاجبيه وقال بصوت متوتر: «بل خبير في ذلك وخبير ممتاز. انني لست بائعاً...» وارتسمت ابتسامة على ملامحه تلطف من خشونتها. «هل غضبت؟ انني آسف يا عزيزتي.»

فاحمر وجهها: «اتمنى لو انك لا تدعوني بذلك.»

فنظر إليها طويلاً بصمت، ثم قال ببساطة: «لا بأس. لن أعود إلى ذلك.»

أومأت قائلة بصوت متوتر: «شكراً لك.»

فقال: «أهلاً وسهلاً.»

نظرت إليه بسرعة متوقعة ان ترى السخرية في ملامحه، ولكنه، بدلاً من ذلك، كان يحدّق إليها النظر بحدة جعلت انفاسها تتسارع، فأشاحت بوجهها. «هل هكذا سنمضي الليلة؟»

«معك حق، فقد تأخر بنا الوقت، وقد ضايقتك بما فيه الكفاية ليوم واحد.»

فوقفت قائلة: «في هذه الحالة... هل لك ان تتصل بالبواب لاستدعاء سيارة اجرة؟ وإذا فكرت بشيء من ناحية رايا...»

فقاطعها: «فلتذهب رايا إلى الموت.»

حملقت فيه وقد ادهشها غضبه هذا: «ماذا تعني بقولك، فلتذهب رايا إلى الموت؟»

فأجاب وقد لمعت عيناه: «اعني ما قلته. لقد اصابني القرف من سماع اسمها، من التفكير في ذلك الوغد رايت والاعيبه القذرة، من...» وزم شفتيه واخذ يدعك جبينه،

www.elromancia.com

ثم قال بعد لحظة صمت. «معك حق. لقد كان يوماً شاقاً.»

أومأت قائلة: «نعم، هذا هو السبب في انني ذاهبة...»

قاطعها قائلاً: «اننا بحاجة إلى شيء نشربه. ماذا تحبين يا اوليفيا؟»

فقالت بسرعة: «اكتفي بفنجان من القهوة.»

قال: «عندي كل انواع القهوة.»

«اظن لديك مطحنة قهوة طبعاً.»

فابتسم: «مطحنة كهربائية، وأخرى تدار باليد، فاختاري ما تشائين.»

ابتسمت له هذه المرة، وهي تقول: «تعني انك ستطحن القهوة، وانا اصنعها. اتفقنا؟»

«اتفقنا.»

كان المطبخ كما تصورته. جميلاً حسن التجهيز، كما ان ادوارد لم يبالغ حين قال ان لديه كل انواع حبوب القهوة من برازيلية وكينية وكولومبية وجاوية...

سألها: «هل شربت قط قهوة هاواي؟»

فهزت رأسها، وسألته: «اين إبريق القهوة؟»

ناولها البن المطحون وهو يقول بلهجة رزينة: «هاك القهوة، وإذا انا قمت بشيء آخر، فسأفسد العمل. ومن الآن فصاعداً، ايتها السيدة، كل الإجراءات هي بين يديك.»

فابتسمت قائلة: «قف في الخلف، إذن، ودع الفنانة الحقيقية تعمل.»

وعندما انتهت من وضع البن في المصفاة، استدارت

لترى ادوارد وقد جلس على احد المقاعد العالية امام المنضدة المستطيلة.

سألها: «هل كنت تريدين ان تكوني فنانة عندما تكبرين؟»

فبانت عليها الحيرة، لحظة، ثم سألته: «انا؟»

«نعم. هل كنت تريدين ان تكوني فنانة رسم قبل ان تقرري ان تتخذي تصميم الديكور الداخلي مهنة؟»

أجابت دون تفكير: «كنت احب ان اكون نحاتة. اعني انني قمت بذلك، منذ زمن طويل، انما...»

«انما ماذا؟»

فهزت كتفيها: «انما لم تكن لدي الموهبة، آه، ان بإمكاني ان اصنع قطعاً صغيرة جيدة، مثلاً، جراء كلاب، قططاً نائمة، أشياء من هذا النوع، ولكنني لم استطع ابداً ان اصنع أشياء هامة.»

فابتسم قائلاً: «لقد تخليت عن ذلك لأنك لم تستطيعي ان تنسخي رسم داوود لميكيل انجلو حسناً، ان ذلك لا يستطيعه اكثر الفنانين.»

فابتسمت هي أيضاً: «كلا، انهم طبعاً لا يستطيعون. انني لم اقصد ذلك، قصدت القول انني...» وتلاشى صوتها. لم يحدث قط ان اهتم احد، حتى ولا رايا وعمتها، بأن يسألها عما إذا كانت تحلم حقاً بأن تصبح فنانة. ثم يأتي هذا الرجل، هذا الغريب الذي اقتحم حياتها، فيفكر في ان يسألها عن ذلك... وقد اجابته بصدق وهي التي لم تفصح لأحد قط عن مكنونات نفسها.

«ما الذي جرى؟»

أجابت وهي تبتعد عنه: «لا شيء، لقد... لقد سمعت غليان إبريق القهوة.»

«انه يصفر.»

«ماذا؟»

«إبريق القهوة. انه يصفر عادة عندما يكون جاهزاً.»

«هل... هل تشرب القهوة بالحليب والسكر؟»

«من دون حليب.»

«والمنايل الورقية؟»

«سأحضرها بنفسي.» فتنهدت بارتياح عندما ابتعد.

«اما كان بإمكانك ان تتخذي مهنة النحت لأطفال سمان الوجوه وجراء وقطيطات؟»

«نعم، اظن ذلك، ولكن...»

«لكن ماذا؟»

«حسناً، بالنسبة للعمل ذاته، ليس فيه أي شيء معيب، ولكن ان ادرس فن النحت، لأنتهي بصنع مثل هذه الأشياء البسيطة، فهذا شيء مضحك.» وضحكت بارتباك: «ان هذا يبدو ادعاءً، أليس كذلك؟ انني لم اقصد أن...»

«هذا تفكير نزيه.» كان صوته رقيقاً، ولكنه بدا وكأنه يملأ فضاء الغرفة. استدارت تنظر إليه، وما رأته في عينيه جعل خفقات قلبها تتسارع.

عاد يقول بنفس الرقة: «اوليفيا.» وهنا أرسل إبريق القهوة صرخة ثاقبة اجفلت لها، فأشاحت بوجهها ومن ثم اخذت تشغل نفسها بإعداد القهوة.

قال باسماً وهو يأخذ أول رشفة من فنجانه، انها ممتازة، وسألها ان كان هنالك مدرسة لتعليم صنع القهوة.

فابتسمت بدورها: «لا أدري، ولكنني تعلمت هذه الأشياء من السيدة فانين.»

«هل هي معلمة التدبير المنزلي في المدرسة الثانوية؟»

«بل هي طاهية آل باسكومب، عفواً، انها رئيسة الطباخين عندهم.»

فرفع حاجبيه متهكماً وهو يقول: «اتراني المح ازدراء في لهجتك يا آنسة هاريس؟»

«آه، لم تكن السيدة فانين التي كانت تدعو نفسها بهذا اللقب، وإنما آل باسكومب.»

فوضع فنجانه من يده، وهو ينظر إليها: «لا بد ان الاستقرار في منزل آل باسكومب كان امراً صعباً.»

فهزت كتفيها: «قليلاً.»

«هل كانت علاقتك بعمتك حميمة؟»

«كلا، عندما مات والداي، كنت لا أكاد اعرفها، ثم...» وسكتت. لماذا تخبره بكل هذا؟ انه لا يهتم طبعاً بقصة حياتها، فنظرت إليه: «لماذا توجه إليّ كل هذه الأسئلة، يا ادوارد؟»

فلاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يجيبها بسؤال من عنده: «لماذا تظنينني اسألك هذا؟»

انه، كما رأت، كان يحاول بالطبع ان يستنتج فكرة قد تقوده إلى مكان رايا، إذ كان يعلم ان ماضيهما، هي ورايا، كان واحداً، كان هذا مفهوماً... ولكنها، لسبب غير مفهوم، شعرت بالإكتئاب لهذه الفكرة.

وضعت من يدها فنجان القهوة وهي تقول بأدب: «لقد تأخرت، يا ادوارد. اشكرك على القهوة، انما الآن...»

«لا تذهبي.»

نهضت بسرعة وهي تقول بإصرار: «بل يجب ان اذهب.»

نهض بدوره: «اوليفيا... ابقي قليلاً.»

فهمست:

«كلا.»

فعاد يقول: «بل ابقي. انك تعلمين ان هذا ما تريدينه انت أيضاً.»

ابتعدت عنه وهي تقول: «انك مغرور بنفسك إذ تظن انك تعرف ما أريد.»

فجمد في مكانه وقد توتر فكه. «لا تفعلي هذا.»

«الشي الوحيد الذي افعله، هو انني سأذهب إلى بيتي، وإذا لم تطلب لي تاكسي، فسأطلبها انا.»

وقفا يحدق الواحد منهما إلى الآخر، لحظة، ثم قال وقد ساد وجهه البرود: «هذا ليس ضرورياً سآخذك إلى بيتك بنفسي.»

حاولت ان تناقشه في ذلك، ولكن نظرة أخرى إليه جعلتها تتراجع عن ذلك.

بدت الرحلة إلى بيتها طويلة، رغم ان زحام الشارع كان خفيفاً بالنسبة إلى تلك الساعة المتأخرة من الليل. وما ان وصلا إلى الشارع حيث بيتها، حتى كانت اوليفيا على وشك القفز من مقعدها، وقبل ان تتوقف السيارة تماماً، مدت يدها إلى الباب محاولة فتحه، ولكن ادوارد كان أسرع منها، فأمسك برسغها قائلاً: انتظري.» واخذ يحدق بإمعان حوله في الشارع وفي الظلال، ما جعلها تدرك انه يتذكر ما نسيته هي وهو ان قد يكون هناك، من مخبري الصحف، من

يتسكع حول بيتها وبيده آلة تصوير، وأخيراً قال: «لا بأس، لا شيء هناك.»

ففتحت الباب قائلة: «آسفة إذ لم استطع مساعدتك في العثور على رايا... إذا خطر أي شيء من هذه الناحية، فسأتصل بك...»

فقال: «سآتي لآخذك غداً في السابعة صباحاً.»

فهزت رأسها: «لماذا؟ لقد تفحصت كل أوراق تشارلز هذه الليلة.»

«هنالك اشياء أخرى ينبغي الاطلاع عليها، صور، مفكرات.»

«اسمع يا ادوارد، انني لا أعلم الكثير عن علاقة رايا بزوج أمك. ذلك ان صداقتنا، انا وهي، لم تعد وثيقة وذلك منذ مدة طويلة.»

«منذ متى؟»

فأجفلت للخشونة المفاجئة في صوته. وجرها من يدها إلى النور عند الباب وهو يتابع: «هل ذلك منذ ايام، اسابيع، شهور؟»

«لا افهم.»

«متى توقفتما عن تبادل المودة، هل كان قبل ان تعرفيها إلى تشارلز، أم بعد ذلك؟» ومضى يتأمل ملامحها لحظة، بينما كانت هي تحاول ان تلتقط انفاسها. ثم مد يده اليها قائلاً: «هاتي مفاتيحك.»

ارادت ان تقول له انها تعرف ما يريد، ولهذا فلن تسمح له بدخول بيتها لكي يجعلها تلك المرأة العابثة كما يظنها فعلاً.

ولكنها فتحت حقيبتها وهي ترتجف، ثم اخرجت المفاتيح تناولها له. فاخذها يفتح الباب وعيناه تنظران إلى وجهها، ثم عاد فقال: «مدي يدك.» وعندما مدت يدها وضع فيها المفاتيح وهو يقول: «اقفلي بابك خلفي جيداً.»

ثم استقل سيارته وتوارى في ظلمة الليل.

الفصل الثامن

استيقظت أوليفيا على شمس مشرقة وسماء صافية... لتعود بتفكيرها إلى ليلة أمس.

وخفق قلبها. ماذا لو كان دخل المنزل صاعداً معها إلى شقتها؟ من الآن فصاعداً ستكون على حذر. نعم، على حذر من هذا الرجل الذي يظنها أخلاقياً، كقطط الشوارع، وبالتالي من الجنون السماح لنفسها بالتأثر به.

إن أفضل شيء في هذا السبيل، هو أن تتوقف عن رؤيته. وكانت هذه الفكرة خطرت لها أثناء الليل ولكنها سرعان ما نبذتها.

إن العثور على رايا هو أهم من أي شيء آخر. وهذا ليس بإمكانها وحدها من دون إدوارد.

فبينما هي تعرف رايا وعاداتها، يعرف هو تشارلز وإذا كانت تعرف مزاج رايا، فهو بامكانه الوصول إلى أوراق تشارلز.

عليها أن تستمر في لقاء إدوارد إلى أن يتم العثور على رايا. وما أن يتم هذا، حتى تودعه.

وكلما أسرعا في هذا الأمر، كان ذلك أفضل. وارتدت ملابسها وهي تفكر في أن حياتها بعد ذلك، ستعود إلى سابق عهدها. فهي ستعيد فتح محلها، وتعيد دولسي إلى العمل، أما إدوارد آرتشر فسيصبح مجرد ذكرى.

وقبل السابعة مباشرة، وضعت أوليفيا معطفها عليها ثم

هبطت السلم مسرعة. وعندما وصلت إلى الباب الخارجي مدت يدها تفتح الباب دون تفكير ولكنها سرعان ما أرجعت يدها تلك مجفلة وكأنما مست جذوة نار. وهمست لنفسها، عليك أن تفحصي المكان أولاً، يا أوليفيا.

أخذت تنظر من النافذة بحذر، وعندما لم تلاحظ ما يثير الشبهة، خرجت من الباب.

وقفت عند العتبة ووجهها إلى أعلى حيث دفء الشمس، ثم أغمضت عينها مستمتعة بهذا السكون الرائع الذي يعم المكان. بدا لها وكأن وقتاً طويلاً مرّ منذ كان بإمكانها الوقوف بأمان خارج بيتها.

فتحت عينيها بسرعة وقد فوجئت بصوت عميق يهمس قائلاً: «إنك جاهزة في الوقت المحدد، ويعجبني هذا في المرأة.»

أطلقت ضحكة قصيرة وقالت: «إدوارد، لقد أفزعتني.» لقد أخذ قلبها يخفق فعلاً، ولكن ليس لهذا السبب بل لرؤيتها له مرة أخرى. لقد بدا هذا الصباح أكثر وسامة مما عهدته قط من قبل.

«أليست مغامرة منك إذ تقفين هكذا لكي يراك العالم كله؟»

«ولكنني عند العتبة من الداخل. وعلى كل حال، فقد تفحصت المكان قبل أن أفتح الباب.»

«نعم، وهذا ما فعلته أنا عندما انعطفت حول الزاوية. أتريدين الحقيقة؟ لقد قرب صبري من أن يفرغ بسبب كل هذا الهراء.»

فابتسمت قائلة:

«وكذلك أنا. لقد شعرت هذا الصباح برغبة في أن أفتح الباب وأخرج، غير مكترثة ولو كان هنالك جيش من المخبرين في انتظاري.»

فضحك قائلاً:

«أحب المرأة المغامرة مثلك.»

لماذا كلمات بسيطة مثل هذه، تملؤها بالدفء؟

قالت: «أتمدحني مرتين في أقل من خمس دقائق؟ هذا كثير عليّ.»

فقال ضاحكاً: «لا يتشوش ذهنك، فليس بامكاني أكثر من ذلك قبل أن أشرب القهوة.»

لم تتمالك من مبادلته الضحك: «معنى هذا أن خادمك ما زال غائباً.»

«إن علينا أن نبكر في الذهاب، فإن أمامنا طريقاً طويلاً.»

«ماذا تعني بذلك؟»

«لقد سبق وقلنا إننا سنفحص المزيد من أوراق تشارلز هذا اليوم.»

«وعلينا أن نقوم بذلك بالنسبة إلى رايا أيضاً. لم أستطع النوم ليلة أمس وأنا أفكر في ذلك.»

«ولا أنا.»

فاحمر وجهها عندما التقت عيناهما، وقالت: «أعني أنني كنت أفكر في مشكلتنا، و...»

فعبس وهو يقاطعها: «وكذلك أنا. إن رايا ما زالت مختفية، ونحن لم نعرف عنها أكثر مما كنا نعرفه عندما ابتدأنا بالبحث، فهي لا بد ذهبت إلى مكان لا يمكن لأحد أن

يقرنها فيه بتشارلز. ذلك أن آخر ما تريده هو أن يتعرف عليها نادل في مطعم لا يتردد في أن يهرع للاتصال بصحيفة الثرثار.»

«أظن هذا معقولاً.»

«إذن، ما علينا عمله هذا النهار هو التحدث عن رايا التي كنت تعرفينها منذ سنوات طويلة. عندما كنتما طفلتين.»

«نتحدث؟ ولكنني ظننت...»

قاطعها وهو يقول: «نعم، نتحدث. من يدري ما يمكن للذاكرة أن تتفتح عنه؟»

قالت: «أظن علينا أن نتوقف للسؤال عنها في معرض الفنون حيث كانت تعمل، أو ربما نقوم بزيارة لوالديها.»

«إن رجالي سبق وذهبوا للسؤال عنها في المعرض، ولكن لا أحد هناك يعلم مكانها.»

«هل ذهبوا أيضاً إلى والدي رايا؟»

فقال بلطف: «لا أظنها أخبرت أهلها عن نفسها شيئاً ذا أهمية، منذ سنوات.»

فنظرت إليه وهي تتخذ مقعدها في السيارة: «الحق معك.»

«سيمنحنا هذا النهار نظرة جديدة للأمور. فلننتظر ولنر ما يكون.»

• • •

إلى أين يأخذها؟ ألقت عليه هذا السؤال، ولكن ادوارد

رفض الاجابة. كان كل ما قاله هو: «إلى حيث لا ترانا أسماك القرش.»

لقد اتجها إلى الشمال من المدينة، ثم تحولا شرقاً. وتنهدت. إن هذا الطريق الطويل سينتهي إلى «إيست هامبتون و«لونغ أيلندا» وغيرها من الأماكن التي تطبع مناظرها على بطاقات، وحيث الأغنياء يجتمعون في قصور صغيرة بجانب البحر.

وتنهدت مرة أخرى. نعم، بإمكان ادوارد أن يكون له منزل صيفي ذو غرف عديدة.

كان المنزل الذي أخذها إليه، جميلاً مريحاً يكمن بين أشجار الصنوبر الباسقة، وبدا وكأنه موجود في هذا المكان منذ قرون.

أوقف ادوارد السيارة، وهو يقول: «ها قد وصلنا.» نظر إليها وهو يقول ضاحكاً: «إنني أنبهك إلى أن حسك المهني قد يجرح عندما ترين المنزل من الداخل. إن أكثر الأثاث قد أصبح قديماً.»

فابتسمت قائلة: «ولماذا لا يكون هذا الأثاث القديم ما يسميه الناس تحفاً؟»

فهز كتفيه قائلاً: «إنني اداوم على التفكير في أنني سأعيد تأثيث البيت بشكل أفضل. ولكنني أجده مريحاً جداً بهذا الشكل، ومن ثم...»

وصدم السيارة شيء ضخم أسود، فأطلقت أوليفيا صرخة صغيرة وهي ترى وجهاً لا يبدو منه سوى أسنان بيضاء حادة يلوح خلف زجاج النافذة وشهقت قائلة: «اوه! ما هذا؟»

فارتطم هذا المخلوق بالسيارة مرة أخرى. كان كلباً، أسود ضخماً رهيب الشكل.

قال إدوارد مسروراً: «هكتور.» وفتح باب السيارة ثم خرج إليه.

أخذ الكلب الرهيب يحييه بمحاولة القفز إلى ما بين ذراعيه بينما أخذت أوليفيا تتأمله باسمة ثم فتحت باب السيارة، بدورها وخرجت. ونظر إدوارد إليها بابتسامة صبيانية وهو يقول: «إن هكتور يعيش في آخر هذا الطريق. وأنا أعرفه منذ كان جرواً صغيراً.»

«هل هو يحييك دوماً بمثل هذا الحماس؟» فضحك وهو يمر بيده على رأسه الضخم. «في كل مرة يراني فيها.»

قالت بلطف:

«لقد ظننت أنه كلبك.»

«أتمنى لو كان كذلك، ولكن اقتناء كلب كهذا في المدينة غير ممكن. ربما يوماً ما، عندما انتقل إلى هنا بشكل دائم.»

هز هكتور ذيله، واتجه نحو أوليفيا. فقال ادوارد: «لا تخافي منه، فهو لا يعدو أن يكون هرة كبيرة.»

فضحكت قائلة، بينما الكلب يدس أنفه بين راحتيها: «هذا ما أراه.» وانحنت تربت على رأس الحيوان. ولكن كان واضحاً أنه كان يحييها تأدباً منه فقط، إذ أن قلبه كان مع إدوارد.

صفعه إدوارد، متحبباً، وهو يقول له: «لابأس يا فتى، اذهب إلى بيتك الآن. سأراك مرة أخرى قبل أن

أرحل.» وأخذ ينظر إلى الكلب وهذا يتوارى بين الأشجار، ثم التفت إلى اوليفيا قائلاً: «ما قولك في جولة؟»

سار بها صاعداً الطريق إلى شرفة الباب الأمامي وهو ينبهها إلى الدرجة العليا المنحرفة، ثم دخلا المنزل والذي كان تاريخه، كما توقعت، لا يقل عن الثلاثمائة عام، ويرجع تاريخه إلى المستوطنين الأوائل في العالم الجديد. كما أنه كان معها حق بالنسبة إلى الأثاث. فقد كان مكوناً من قطع قديمة غاية في الجمال، قد صنعت باليد من خشب الصنوبر والسنديان، وكانت تتناسب مع المنزل كما تتناسب مع بعضها.

وانتبهت إلى إدوارد وهو يراقبها باسماً، ثم يقول: «أما زلت تفكرين في طريقة مهذبة تخبرينني فيها بأن هذا المنزل يحتاج إلى بعض العمل فيه؟»

فهزت رأسها تقول برقة: «إنه منزل رائع الجمال.»

اتسعت ابتسامته: «ما رأيك في نزهة؟»

ضحكت: «على شاطىء البحر؛ إن الجو جميل، ولكن الفصل هو شتاء.»

«بل في غرفة الجلوس. سأشعل النار في المدفأة ونذير جهاز الموسيقى.» وضحك وهو يصفق باب الثلاجة.

كانت مأدبتهما مكونة من الجبن والبسكويت المالح والخبز المحمص، وانتهت بالفواكه والشكولاتة. نظر إليها باسماً وقال: «والآن أخبريني عن نفسك.»

فتبدد الدفء الذي كان ملأها منذ ثوان. لقد كادت تنسى سبب إحضاره لها إلى هنا. لقد أعادها إلى الواقع

بقوله، أخبريني عن نفسك، بينما كان يعني أخبريني عن رايا.

هزت كتفيها قائلة: «ليس هناك الكثير أخبرك به. فقد سبق وعلمت أنني كنت في العاشرة وكانت هي في الحادية عشرة عندما تعارفنا. في ذلك الحين كنا نمضي اكثر أوقاتنا معاً، وكانت صداقتنا حميمة... حميمة تماماً، إلى أن دخلت المدرسة الداخلية.»

«وقبل ذلك؟»

«لقد سبق وأخبرتك بأنني لم أكن أعرفها من قبل.»

«أعني أي نوع من الفتيات الصغيرات كنت؟ هادئة، منكبة على كتبك على الدوام.»

فنظرت إليه: «كيف عرفت ذلك؟»

هز كتفيه وقال: «هذا تخمين فقط.»

تنهدت قائلة:

«كنت أحب كل أنواع القصص. وكنت أفضل الحكايات الاسطورية، ولكن رايا...»

«والدمى؟ اؤكد انك كنت تحبين اللعب بها، كذلك.»

فارتسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة: «آه، نعم. هذا صحيح. كان لدي دمية أسميتها بيتي.» وجلست تحدق في نيران المدفأة: «لم تكن رايا تهتم كثيراً بالدمى.»

فقال بهدوء: «ولكن صداقتكما كانت حميمة.»

«آه، نعم. كنا متلازمتين على الدوام.» وترددت لحظة ثم عادت تقول: «كنا كذلك في البداية إلى أن ذهبت رايا إلى المدرسة الداخلية.»

«أما أنت فلم تذهبي.»

«كلا بالطبع، ولهذا لا أستطيع أخبارك ما الذي كانت رايا تقوم به عندما...»

«لماذا؟ لماذا لم تذهبي أنت أيضاً إلى مدرسة داخلية؟ ألم تكوني تحبين ذلك؟»

فضحكت: «كنت سأحب ذلك. فكل رفيقاتنا قد ذهبن. ولكنها كانت غالية. ولم يكن في طاقة عمتي تأدية نفقات ذلك. وهذا ما كنت أعنيه عندما قلت لك ان ليس بإمكاني مساعدتك بالنسبة إلى رايا فهنالك الكثير عنها لا...»

«هل كنت تشعرين بالوحدة؟ لا بد أنك كنت كذلك إذ تعيشين مع امرأة كبيرة السن. أي نوع من النساء كانت؟»

أخذت أوليفيا تفكر في عمتها ميريام التي لم تتقبل قط فكرة أنها ورثت فجأة مسؤولية تنشئة طفلة أو أنها عرفت جيداً كيف تقوم بذلك.

وتنهدت قائلة: «كانت امرأة طيبة القلب. وإلا لكان انتهي أمري في دار أيتام.»

فقال بلطف: «ولكنها لم تكن محبة أو دافئة العواطف.»

هزت أوليفيا رأسها: «كلا. ليس بقدر ما كانت أمي.» لم تكن مثلها قط. وسكتت، وأخذت تحدق في اللهب، ثم تنحنحت قائلة: «لقد فقدت أنت أباك فليس عليّ أن أصور لك المشاعر لدى أمر كهذا.»

«كلا. فأنا أتذكر شعوري عند ذاك. ولكنني كنت محظوظاً، فقد كانت أمي ما تزال موجودة، وكانت رائعة في حنانها.» وسكت لحظة ثم تابع: «إلى أن تعرفت إلى تشارلز رايت.»

www.elromancia.com

تنفست بعنف قائلة: «هل كان.. هل كان.. أعني هل كان دوماً.. أن تفقده فجأة بهذا الشكل لتكتشف بعد ذلك أنه كان كان.»

لم تستطع أن تقول أكثر من هذا خصوصاً وهي تعلم أن ادوارد ما زال يعتقد أنها كانت حبيبة زوج أمه، وشعرت بغصة، وبدا لها أن من الضروري أن يعرف الحقيقة، قالت: «بالنسبة إلى تشارلز، يا إدوارد.»

فقاطعها قائلاً بلهجة متوترة: «لم يكن في الأمر مفاجأة. فقد كان قلب رايت مريضاً، وكانت أمي تعلم ذلك. وكذلك كانت تعلم عن خداعه لها. إنها فقط لم تكن تعترف بذلك بشكل مباشر.»

«هل كانت تعلم؟»

فوقف ووضع يديه في جيبيه: «لقد حاولت، عدة مرات، استدراجها إلى الحديث عن ذلك، ولكنها لم تستجب. وهكذا اضطررت إلى تجاهل ذلك، إلى اللحظة التي صادفتكما فيها معاً في ذلك المطعم.»

فنهضت واقفة بدورها: «إدوارد. بالنسبة إلى ذلك اليوم...»

فقاطعها بلهجة متوترة: «لا أريد الكلام عن ذلك اليوم.»

«ولكن حان وقت الحديث عنه.»

استدار إليها قائلاً: «إنك تريدين أن تقولي إنك لست من معجبيه.»

كانت لهجته فاترة، فكان من المستحيل التأكد مما إذا كان يعبر بها عن الإرتياب أو عن تقرير حقيقة واقعة. فأحنت رأسها قائلة: «كلا. لم أكن كذلك.»

تسمرت عيناه على وجهها. فقابلت نظراته بهدوء دون أن تجفل، محاولة أن تقرأ أفكاره، ولكن كان ذلك صعباً للغاية. ومضت اللحظات، ليطلق بعدها زفرة أخرى، ثم يقول: «إن الشاطىء رائع في هذا الوقت من السنة. فلنذهب ونتمشى قليلاً.»

أتراه صدقها؟ وهل كان قولها هذا كل ما كانت تحتاجه الأمور لكي تستقيم؟

ودفعها حافز إلى أن تلح عليه بالسؤال. أن تستوثق من ذلك. ولكنها لم تستجب لهذا الحافز. وهكذا تركته يساعدها على ارتداء معطفها، ليخرجا، بعد ذلك معاً من الباب الخلفي.

كان الشاطىء خالياً تذور رماله الرياح. وكانت الصخور البارزة من البحر تمتد إلى حيث الرمال.

قالت برقة: «ما أجمل هذا المكان.»

فأومأ قائلاً: «نعم، إنه كذلك. إنه أكثر الأمكنة التي أعرفها، جمالاً.»

قطبت جبينها.. (أكثر الأمكنة التي أعرفها جمالاً.) لماذا تبدو لها هذه الكلمات مألوفة؟

ابتسم متابعاً: «إنه مخبأي الصيفي. ولكني لا أهجره في الخريف. فأنا أتردد عليه طوال العام ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.»

«ما أجمل كل هذا، يا إدوارد. البيت، البحر. وهذه الصخور. إنها جميعاً في منتهى الروعة.»

فقال باسماً: «مكان مليء بالأسرار.»

بالأسرار.. هذا ما بدا لها بعد لحظات وهي ترى ممراً

ضيقاً بين هذه الصخور يقود إلى مكان مسدود أمام البحر والرياح، ولا تبدو فيه سوى السماء الزرقاء والشمس الحارة والرمال البيضاء الدافئة.. بينما يقف إدوارد بجانبها، ادوارد الذي سرعان ما تلاشت ابتسامته إذ تلاقت نظراتهما.

قالت في محاولة لإخفاء مشاعرها: «ما... ما أجمل كل هذا.»

فقال برقة: «نعم.. كل هذا جميل.» اقترب منها وهمس: «أوليفيا.. إنني أرتاح إليك يا أوليفيا..»

فخفضت أهدابها وهي تقول بأنفاس متقطعة: «ولكننا...»

فسمعته يقول وهو يضحك: «لقد تكلمنا وانتهينا من ذلك... أخبريني بأنك تشعرين تجاهي كما أشعر انا بك، يا أوليفيا.» فلم تجب، وسرعان ما عادا إلى المنزل.

همست في أعماقها، أحبك.. أحبك يا ادوارد. متى حدث ذلك؟ متى أصبح الغضب إعجاباً والإعجاب حباً؟

أدناها إليه هامساً: «اوليفيا؟ إنني أحب سماعك تقولينها.. قولي إنك تحبينني. تحبينني أنا وحدي.»

فابتسمت له ببطء وقد صممت على أن تجيب على سؤاله بكل ما تملك من مشاعر متدفقة بحبه حتى لا يحتاج إلى توجيه إليها مرة أخرى. يجب أن يعلم في النهاية أنها لم تعرف رجلاً قبله.

همست برقة متناهية: «إدوارد...»

ولكنه ابتعد عنها وقد توتر فمه، وضاقت عيناه ثم استدار فجأة متجهاً نحو النافذة. بينما وقفت أوليفيا

ذاهلة تنظر إليه وهو يضرب براحتي يديه عتبة النافذة القديمة.

تقدمت نحوه مترددة، وهي تهمس: «إدوارد. لم هذا؟»

«لا شيء.» ولكنها كانت تعلم أنه يكذب. حدثتها نفسها بأن تكف عن ملاحقته، وأن لا تقول كلمة أخرى ولكن السؤال سبق وانطلق من بين شفتيها: «إدوارد.. هل السبب.. هل تفكر في...» وخنقتها غصة.

فاستدار نحوها بسرعة ليجعلها منظر وجهه تتراجع مجفلة، وهو يقول متهكماً ببرود: «في زوج أمي؟ كلا. كلا بالطبع. ولماذا أفكر في العجوز الطيب تشارلز، يا أوليفيا؟ لماذا أفكر فيه في لحظة كهذه؟»

فقالت وهي تشعر بفراغ مؤلم في فؤادها: «ولكنني أخبرتك..»

فمر بجانبها نحو الباب قائلاً بحدة: «جهزي نفسك للخروج. إنني في انتظارك في السيارة.»

وقفت تحدق فيه وهو يندفع خارجاً.

وتحولت تنظر من النافذة إلى الشاطىء الذي كانت تصطخب فوقه الأمواج، بعينين قد غشاهما الدمع. لقد بدا لها هذا المكان الذي كان ادوارد قد وصفه بأنه أجمل شيء في العالم، بدا لها الآن بشعاً للغاية.

كان قد قال عنه إنه (مكاني المفضل)..

.. ثم صوت آخر، هو صوت رايا، يهمس في ذهنها، مكرراً كلمات مخطوطة بيد صبية صغيرة على بطاقة بريدية مليئة بكل تساؤلات صبية في الرابعة عشرة من عمرها، (إنه أجمل مكان في العالم، يا أوليفيا. يجب أن تري باهاما

يوماً. آه، إنه مكاني المفضل، مكاني المفضل في العالم كله.»

إن أوليفيا تعلم الآن، وبوضوح تام، أن ذلك هو المكان الموجودة فيه صديقتها التي دمرت حياتها.

الفصل التاسع

«نشكر لكم الإتصال بالخطوط الأميركية. كل الخطوط مشغولة الآن، ولكن إذا أمكنكم الإنتظار لحظة على الخط...»

فتنهدت أوليفيا وهي تستمع إلى الصوت المسجل الرتيب المنساب من خلال خط الهاتف.

تمتمت: «نعم، نعم.» إنها ستنتظر طبعاً، وهل أمامها غير هذا إذا كانت تريد أن تصل إلى باهاما؟ رغم أنها كانت قد ابتدأت تتساءل عما بامكانها أن تقوم به بالضبط. إنها بجانب الهاتف منذ الصباح، تتصل بشركة سفريات بعد الأخرى، ومازالت لم تظفر بتذكرة سفر، حتى عندما طلبت السفر بالدرجة الاولى.

كان آخر جواب: «هذا أكثر الفصول ازدحاماً للسفر عندنا، يا سيدتي، وليس لدينا أماكن خالية حتى آخر هذا الشهر... ولكن بامكاني ان احجز لك مكاناً في الأسبوع الأول من الشهر القادم. وسيكون الجوّ، حينذاك، مقبولاً تماماً. وسيخفض ثمن التذاكر، كذلك.»

وكادت أوليفيا تضحك، وماذا يهمها من الجوّ ومن الأجرة؟ فهي لم تكن ذاهبة في إجازة، وإنما للبحث عن الحقيقة. فرحلتها ستنتهي بمواجهة بينها وبين رايا، ستكون فيها نهاية علاقة بينهما كانت، يوماً ما، تعني لها الكثير.

إنها لن تكون مواجهة سارة، ولكنها، على الأقل، كانت

ستضع حداً لهذا الكابوس الفظيع الذي تعيش فيه منذ أسابيع. إن الحقيقة ستظهر، وبالتالي ستتمكن من العودة إلى حياتها العادية.. ومن دون إدوارد آرتشر يتعقب خطواتها... من دون أن تدعه يقلب حياتها الهادئة رأساً على عقب.

كل شيء، الأيام والليالي التي كانت تسير فيها متخفية من مخبري الصحف، والقلق بشأن الدائنين الذين قد يقتحمون محلها في أي وقت.. كل هذا اجتمع عليها في لحظة واحدة هائلة، لتقف أمامه عاجزة لاعون لها، كما أنها كانت من الحماقة بحيث تجاوبت مع ادوارد.

كانت هذه الذكرى قد استقرت في نفسها، كما تختبىء قطعة زجاج حادة في رمال الشاطىء، لكي تجرح أي شخص يضع قدمه عليها من دون انتباه، وأرغمت نفسها على إبعاد هذه الذكرى من ذهنها. لم يكن ثمة فائدة من العودة إلى ذلك الشعور المؤلم بالحرج الذي عانته عندما قدمت نفسها إليه. إنها، على الأقل، لم تظهر بمنتهى الحماقة حيث أبت الاستجابة إلى ذلك الحافز الذي كان يدفعها للإعلان له عن حبها... والذي كان غير حقيقي بالطبع.

إنها تعلم الآن أن شعورها ذاك لم يكن حباً حقيقياً على الإطلاق. كان مجرد إعجاباً، ولكن اعتبارات الطبقة الوسطى الأخلاقية ما كانت لتسمح لها بهذا التفسير، ما جعل عقلها الباطن يستبدل ذلك الشعور عندها بكلمة الحب هذه، لتكون مقبولة منها. وابتسمت أوليفيا بمرارة، يالسخرية موقفها ذاك إذ يؤكد سابق ظن إدوارد بها.

(نشكر لكم انتظاركم، مازالت الخطوط مشغولة نرجو منكم الصبر..)

ولكن لم يعد يهمها شيء من هذا، لقد تلاعب إدوارد بها، جاعلاً إياها تمتثل لإرادته. نعم، إنها ستعثر على رايا.. ولكنها ستقوم بذلك وحدها.. ولأسبابها الخاصة، إنها ليست من السذاجة بحيث تظن أن العثور عليها سيحل كل مشاكلها. فصحيفة الثرثار مثلاً، حتى ولو جوبهت بالحقيقة، لن تقبل أبداً بتكريس وقت كاف لاصلاح الوضع الفاسد الذي أوجدته.

ومع هذا، فهي ستواجه رايا وتتهمها بخداعها، وذلك وجهاً لوجه. لقد ألقت رايا صديقتها القديمة في بحر من الأكاذيب حتى من دون أن تسألها ما إذا كانت تحسن السباحة. لقد سرقت منها سمعتها وعزلتها الهادئة. كما أنها السبب في خسارتها المحل الذي طالما حلمت به.

وإدوارد آرتشر قد استغلها هو الآخر، فقد... كلا، إنها لن تفكر فيه بعد الآن. إنها ستفكر.. ستفكر في رايا، بدلا منه، وكيف ستتمكن من العثور على ذلك المكان المثالي المصور على تلك البطاقة البريدية الموضوعة أمامها، والذي تختفي فيه رايا. كانت متأكدة من ذلك منذ أمس، عندما تذكرت فجأة أول عطلة أمضتاها متفرقتين، حين وصلتها تلك البطاقة المصورة من رايا.

ونظرت إلى الصورة مرة أخرى رغم أنها قد استظهرت عن ظهر قلب، ما كتب تحتها (منظر من شرفة فندق دواردو. باهاما). لقد كانت وجدت هذه البطاقة بسهولة. فقد وجدتها حيث كانت تعلم مكانها

بالضبط، وذلك بين مجموعة من التذكارات في قعر صندوق سيكار قديم كانت في طفولتها تتخذه خزينة، ولكن الوصول إلى باهاما هو الذي كان صعباً، ولم تكن قد وضعت هذا في حسبانها أمس، وهي تضع خطتها أثناء رحلتها الطويلة في السيارة عائدة إلى مانهاتان. لقد كان إدوارد مصمماً على إعادتها إلى بيتها بنفسه، ولكنها كانت تفضل العودة إلى نيويورك ماشية على قدميها، على الجلوس بجانبه في سيارته.

«أنا الذي أحضرك إلى هنا وأنا الذي سأعيدك.» هذا كان قوله لها باختصار حين طلبت منه أن يسمح لها بالاتصال هاتفياً لطلب سيارة اجرة، لم يكن ثمة فائدة من الجدل معه، كما أدركت من نظرة واحدة إلى وجهه الجامد المتغطرس، وبدا لها، بالضبط، أنه من أولئك الرجال الذين ينالون من الحياة ما يريدون. حسناً، لقد انتهى ذلك، بالنسبة إليها، وان يكن هو لم يعلم بذلك.

كانت أوليفيا قد صعدت إلى سيارته ممتثلة لأمره، وعندما وصلا إلى القرية، استدارت إليه تسأله بأدب: «هل يمكن أن أعثر على صيدلية، هنا؟»

فسألها دون أن ينظر إليها: «لماذا؟»

«إن لدي صداعاً. أريد أن ابتاع مسكّن للآلام. هل ينال طلبي هذا رضاك؟»

توتر فمه لسخريتها تلك، ولكنه لم يقل شيئاً، وإنما اوقف السيارة بعنف عند المنعطف، قائلاً: «سأحضره لك.»

ولكن أوليفيا كانت قد سبقته وفتحت الباب، خارجة من السيارة إلى الرصيف، وهي تقول: «سأبتاعها بنفسي.»

وبعد ذلك كان الأمر سهلاً، لقد دخلت من باب الصيدلية الأمامي، لتجد، لحسن حظها، باباً خلفياً ينفذ إلى زقاق ينتهي إلى مجموعة من الشوارع الضيقة أخذت تسير منها من واحد إلى آخر حتى وجدت هاتفاً، اتصلت منه طالبة سيارة اجرة. لقد كلفتها الرحلة الى بيتها مبلغاً كبيراً.. وكان عليها أن تطلب من السائق الانتظار ريثما تسحب نقوداً من آلة مصرف اوتوماتيكية في زاوية هناك، لكي تدفع له أجره.. ولكن الأمر كان يستحق هذه التضحية، ليس فقط لأنها لم تكن تريد أن تجلس بجانب إدوارد في سيارته، ولكن لأنه كان يسرها أن تتصور ثورته الغاضبة عندما يكتشف هربها.

«الخطوط الأميركية. أي خدمة يمكنني تقديمها؟»

لم تضيع أوليفيا وقتاً، فسألت: «متى تكون أول رحلة لكم إلى باهاما؟»

«آسفة يا سيدتي، ليس لدينا أي مقعد شاغر، بل آخر..»

«الأمر مستعجل، لا بد أن لديكم تدبيراً لذلك.»

«دعيني أنظر.. ثمة إلغاء لحجز هنا.. يا سيدتي.»

«رائع.»

«ستبدأ الرحلة بعد ساعة ونصف.»

فنظرت أوليفيا إلى ساعاتها: «ليس ثمة مشكلة.»

عادت الموظفة تقول: «المكان في الدرجة الأولى.» وذكرت مبلغاً شحب له وجه أوليفيا، ولكنها لم تتردد: «سآخذه.»

ووضعت الأجرة على بطاقة حسابها المصرفية، وكذلك أجرة الفندق، وذلك في مطار ناسو الدولي بعد أن حجز لها

الموظف السياحي غرفة في الجزيرة بدا أنها آخر غرفة شاغرة هناك، وفي طريقها إلى الفندق، أخذت تحسب في عقلها كل ما أنفقته في هذا السبيل، ولكن الأرقام جلبت الدوار الى رأسها ما جعلها تكف عن ذلك، إن عليها غداً أن تشتري المزيد من الأشياء.. منها ملابس جديدة. ولكن ماذا يهمها مما ستكلفها هذه الأشياء؟ إنها ستفلس على كل حال، عندما تصلها الفواتير. كل ما كان يهمها هو العثور على رايا.

كان لدى أوليفيا خطة بسيطة، فماذا تحتاج أكثر من هذا؟ إن لديها صورة، على كل حال وكذلك إسم فندق.

أول صدع في خطتها تلك، ظهر في الصباح التالي، عندما كانت تشرب قهوتها في غرفة الطعام بينما تتصفح كتاب لارشاد السائحين.

ومن أحد الصفحات، ظهرت أمام عينيها هذه الجملة: (تتكون باهاما من سلسلة تتضمن سبعمائة جزيرة.)

حدقت في الكلمات غير مصدقة: «سبعمائة؟» ألقت هذا السؤال بلهجة مذعورة، على النادل الذي كان يحضر لها طعام الإفطار.

فضحك الرجل قائلاً: «وكلها رائعة الجمال، يا آنسة.»

ولكنها عادت فعلمت أنها ليست كلها مأهولة، ولكن لم يكن في هذا ما يدعو إلى سرورها ما دام هنالك خمس وعشرون جزيرة تسدّ حاجات السائحين.. وتأوهت، خمس وعشرون؟ اخذت تقلب صفحات دليل الهاتف وأخذت تتمتم... فندق دورادو.. فندق دورا... لم يكن هناك فندق بهذا الإسم، لا في جزيرة «نيو بروفيدنس»

ولا في جزيرة «غراند باهاما» او «إيلو تيرا». ولكن كان يوجد واحد بهذا الإسم في جزيرة «غريت أباكو»، ما جعلها تمضي طيلة النهار في السفر إلى هناك، منفقة في سبيل ذلك، مبلغاً من النقود لا يمكن تصديقه، أجرة السفر إلى هناك، ولكن فندق دواردو الذي رأته، لم يكن يشبه بحال ذلك الذي في الصورة. الفندق قد أعيد بناؤه، ابتسم وهو يؤكد الرجل لها أن الفندق لم يكن موجوداً على الاطلاق، قبل سنتين فقط.

وفي نهاية اليوم، كانت تشعر بألم في قدميها، وبالهزيمة معاً. لشدّ ما كانت غبية وهي تفترض أن الفندق المصور على البطاقة ما يزال موجوداً، وحتى لو كان موجوداً، فمن يضمن بقاءه بنفس الإسم؟ هذا إلى أن مثل هذه المؤسسات تأتي وتذهب. إنها تعرف مؤسسة، حيث كان محل بيار، تغير إسمها ثلاث مرات، وانتقلت إلى أربعة مالكين، وذلك في أقل من سنتين.

وعندما استقلت مركباً إلى «نيو بروفيدانس» تملكها الاكتئاب وهي تقف عند حاجز المركب، تحدق في البحر.

«معذرة يا آنسة، ولكن هل أنت بخير؟»

كان صوت رجل، وعندما رفعت نظراتها إليه، شحب وجهها، وتوقف قلبها عن الخفقان، أهو إدوارد؟ ولكنه لم يكن إدوارد بالطبع. كان رجلاً له نفس الشعر والعينين القاتمتين. وعندما تمكنت من الكلام، شكرته قائلة إنها بخير، ثم أشاحت بوجهها وعادت تنظر إلى البحر.

وتلك الليلة، كان نومها سيئاً. وكانت أحلامها عن

إدوارد، دون نهاية، ولم يكن أي منها واضحاً أو مفهوماً، ولكنها كانت تصحو عقب كل منها، شاعرة بفراغ في قلبها وقد بللت عينيها الدموع.

ولكن، تلك كانت مشاعر الكراهية. فقد كانت تكره إدوارد. كانت مملوءة كرهاً له. واستلقت في سريرها تحدق في الظلام وهي تستعيد الى ذاكرتها ما قد قالته لإدوارد أثناء وجودها عنده في منزله في «إيست هامبتون» ذاك، وما ستقوله له لو شاء سوء حظها أن تقابله مرة أخرى، ثم غلبتها إغفاءة استيقظت بعدها والدموع تبلل اجفانها وذلك الفراغ المؤلم في قلبها، مرة أخرى.

لا بد أنها حلمت برايا، وكيف غدرت بصداقتهما، وهل هنالك شيء آخر ممكن أن يملأها بكل هذا الأسى؟

ومرت الأيام، وانتقلت من الفندق إلى نزل صغير، وبعد أن عدت آخر دولار بقي لها، فكرت في أن تلجأ إلى سبل مختلفة.

إختارت باحثاً من دليل الهاتف، ثم ذهبت لزيارته.

سألته وهي تريه البطاقة البريدية: «أريد أن أعثر على هذا المكان.»

فسألها وهو يتأمل الصورة: «منذ متى هذه الصورة؟»

«منذ عشر سنوات.»

«هل لديك فكرة عن اسم الجزيرة الموجود فيها؟»

فهزت رأسها: «كلا.»

«حسناً، بامكاني القيام ببعض البحث، فهناك ملفات قديمة وأوراق، ومسح عام..» ونظر إليها وهو يهز كتفيه: «ربما بامكاننا العثور على شيء.»

«وإذا لم يحصل ذلك؟»

فعاد يهز كتفيه: «بامكاني أن استأجر طائرة مروحية، لأقوم بمسح تصويري من الجوّ.. إن هذا يعتمد إلى مقدار حاجتك إلى هذا الأمر، وإلى المبلغ الذي بامكانك دفعه.» وضحك وهو يلقي البطاقة على المكتب قائلاً: «هل هرب الزوج، وتظنينه في هذا المكان؟»

«كلا، لا شيء من هذا النوع.»

«لا بد أن الأمر في غاية من الأهمية، إذن؟»

«كم تكلف هذه الأمور التي ذكرتها؟»

فوضع إصبعه على شفته، مفكراً، ثم ذكر رقماً جعلها تنهار على كرسيها.

قال: «إن القرار راجع اليك. فمثل هذه الأمور لا تكون رخيصة أبداً. هل العثور على هذا المكان يستحق ذلك، أم لا؟»

وعند الغروب، كانت تجلس عند خليج صغير خلف المنزل، مسندة ظهرها إلى جذع شجرة جوز هند خشنة، مفكرة في ما قاله لها، ليس لأنه كان ثمة أمل في استئجار ذلك الرجل، فقد كانت تكاليف خدماته خارجة عن موضوع البحث.

وبعثت هذه التساؤلات القلق إلى نفسها. هل العثور على رايا يستحق كل ذلك؟ المال، الوقت، العذاب. وأخذت قبضة من الرمال جعلت تذريها من بين أصابعها. لقد أصبحت القصة عنها وعن تشارلز رايت، خبراً قديماً. وبعد أسبوع آخر أو أسبوعين، لن يعود هناك من يتذكرها، وسكان نيويورك خاصة، يحبون الثرثرة مع طعام الافطار، فهل

بامكان احد منهم أن يربط اسمها بإسم رايت، بعد شهور قلائل؟

وأخذت قبضة أخرى من الرمال البيضاء، ومضت تراقب تسربها من بين أصابعها. ربما من الأفضل أن تعود إلى بيتها وتنفق بقية نقودها على (حلم أوليفيا). إن بامكانها الاتصال بدولسي لتخبرها بأن الوقت قد حان لبدء العمل من جديد. إن بامكانها أن تنشر إعلاناً حذراً يعلن أن المحل سيعاد فتحه بعد توقفه فترة قصيرة، إن بعض المحلات تفعل نفس الشيء إذا هي اقتربت من حافة الافلاس، فيبدو وكأنهم كانوا اقفلوا المحل لمجرد الراحة، أو ربما بإمكانها أن تغير الإسم كما يفعل الكثيرون.

وأغمضت عينيها بضعف، لماذا جاءت إلى هذا المكان؟ هل لكي تواجه رايا؟ نعم، ولكن ما هي النتيجة؟

إنها ستقول لها: «رايا، لقد خنت صداقتنا.» ولكن رايا تعلم ذلك، فما الفائدة من قولها هذا لها؟ أما بالنسبة إلى جعلها تشرح حقيقة الأمر في صحيفة الثرثار... وتنهدت أوليفيا، فهذه فكرة رائعة، ولكن رايا لن توافق مطلقاً على القيام لهذا الأمر. وأوليفيا تعلم ذلك، في أعماقها، طيلة الوقت.

لماذا تراها جاءت إذن؟ لقد كانت أسبابها واهية تماماً.

ومضت تحدق في البحر. كان هنالك مركب يشق عباب الماء في عتمة الغسق.

وتنهدت، هكذا تبدو الحياة أحياناً، فأنت تنظر إلى شيء ما، فترى شيئاً آخر. هكذا كان يراها إدوارد وسيظل يراها

على الدوام، الا اذا وجدت رايا وجعلتها تقول الحقيقة، وهي أنها هي التي كانت حبيبة زوج أمه وليست أوليفيا.

خفق قلبها، هل هذا كان سبب قدومها إلى هنا؟ لأنها كانت تريد أن تثبت لادوارد براءتها؟

نهضت تتمشى على الشاطىء ببطء، وكانت الأمواج تداعب أقدامها. كلا، هذا غير ممكن، فهي تكره ادوارد.. تحتقره، وهي لا تريد رؤيته مرة أخرى.

ولو شاء سوء حظها أن يجعله يحضر إليها في هذه اللحظة بالذات، فهي ستستدير إليه ثائرة غاضبة، وستخبره بانه أكثر الأوغاد قسوة وعدم إحساس في العالم.

وشعرت بغصة في حلقها، إنه لن يحضر، لن يتبعها. إنه لا يفكر فيها ولا يحلم بها، إنه لا...

«أوليفيا.»

كان الصوت الذي ناداها رقيقاً كالنسائم التي حملته إليها، ولكنه جعلها تتسمر مكانها، وتسارعت خفقات قلبها.

لا يمكن أن يكون هذا إدوارد، إنها مخيلتها فقط. وتنفست بعمق، ثم استدارت ببطء، وقد رفعت يدها إلى قلبها وكأنها تحاول تثبيته مكانه.

وقفا يتبادلان النظرات، بينما الشمس تتوارى خلف الأفق، لقد تلاشى غضبها الذي كانت تشعر به منذ لحظات، ليحل مكانه بهجة دافقة، ها هوذا قد جاء لأجلها.

وجمدت في مكانها، أتراها جنت؟ لقد جاء بالطبع، جاء يبغي ما كان يطلبه على الدوام، رايا، وشركة جيميني للمعلبات.

انتظرت أوليفيا وهو يسير نحوها، وقد بدا عليها البرود رغم سرعة خفقات قلبها. وعندما تكلمت، كان صوتها بارداً وهي تسأله: «كيف عثرت عليّ؟»

«لا أظنك كنت تعتقدين أن بامكانك الاختباء مني، أليس كذلك؟»

كان صوته خفيضاً منضبطاً، وأدركت فجأة، أن هذه هي عادته في مراقبة نفسه على الدوام، وكأنه كان يخشى الخروج عن طوره. شعرت بأن الغضب والعنف كانا يتملكانه كما كانا يتملكانها.

«أختبىء منك؟ يالمخيلتك هذه، يا إدوارد.»

اجابها:

«أظنك تريدينني أن أعتقد أنك جئت إلى هنا في إجازة؟»

«لا يهمني كثيراً ما تعتقده.» وشرعت في السير، ولكنها لم تسر سوى خطوات حتى كان قد أمسك بمعصمها وهو يزمجر بصوت منخفض: «لقد ساعدك الحظ كثيراً يا أوليفيا، إذ هربت مني تلك الليلة.»

«كان عليك أن تستمع إليّ عندما قلت لك إنني أريد أن أعود إلى المدينة بنفسي.»

فأطلق ضحكة قصيرة جافة: «كان علي أن أستمع إلى أشياء كثيرة.»

«كل هذا لا فائدة منه، لقد أضعت وقتك بالقدوم إلى هنا.»

«ما الذي جعلك واثقة من ذلك؟»

«لأنك لن تجد ما جئت لأجله.»

فقال وهو يزيد من إقترابه منها: «أصحيح هذا؟»

«نعم، صحيح، فأنا لن أساعدك في العثور على رايا. لا أريد أن أتابع العمل في هذه القضية، أو معك.»

«لم أطلب منك أن تساعديني.»

«هذا صحيح، ولكنك ستفعل، إنني فقط أوفر على نفسينا..»

فقال بخشونة: «لقد قلب رجالي المدينة رأساً على عقب. ولكنهم لم يعثروا عليك، لم يكن أحد رآك، حتى محاميك، حتى تلك الفتاة الصغيرة التي تشتغل عندك.»

«دولسي؟ هل أشركت دولسي في هذه الأمور؟ ما كان لك أن تفعل ذلك، إنها لا تعلم شيئاً عن رايا.»

«إنني لا أريد أن أتحدث عن رايا، تباً لذلك، ألم تفهمي هذا بعد؟ انظري، إلي.» وببطء شديد، رفعت نظرها، والتقت عيناها بعينيه. «أتعلمين ما الذي سببته لي؟»

أرادت أن ترد عليه بجواب وقح كأن تقول له انه إذا كان ينتظر اعتذاراً منها، فإن انتظاره هذا سيطول.

ولكن كيف بامكانها ذلك وهو ينظر إليها بهذه الطريقة؟ وهز رأسه قائلاً: «لم أستطع أن أتصور ما الذي حدث لك، وما إذا كنت حية أم ميتة. وبقيت أفكر، يا لها من إمرأة عنيدة.»

فقالت: «إنني لست كذلك.»

فضحك برقة: «ومستقلة الشخصية أيضاً، مستقلة إلى حد بعيد إذا تدخلت مصلحتك في الأمر، لقد شعرت أخيراً بالارتياح عندما أخبرني رجالي في النهاية بأنك سافرت إلى الجزر.»

فقالت: «ليس لك الحق في البحث عني.» كانت تريد أن

يبدو صوتها غاضباً، ولكن يبدو أنها لم تفلح في ذلك. فقد كانت تشوب صوتها رجفة بسيطة، كما شعرت بعضلات جسمها تتراخى: «دعني يا إدوارد، فأنا... أنا لا أشعر...»

همس: «ما أحلى ما توحين به من مشاعر... كل شيء دافىء ورائع الجمال، هذا إلى عبير زهر الليلك في شعرك.»

آه، لماذا تسمح له بأن يقول لها مثل هذه الأشياء؟ ها إن كل شيء يعود بينهما مرة أخرى... تماماً كما كان في آخر مرة كانا فيها معاً، إنه يهمس في أذنها بكلمات حلوة رقيقة لينتهي كل ذلك، كالعادة.. بوابل من الاتهامات الشائنة والغضب.

لن يعود في امكانها احتمال ذلك، خصوصاً الآن. وشعرت بالدموع تتجمع في عينيها، أتراها قطعت كل تلك المسافة، لكي تكون معه مرة أخرى بينما هما الاثنان يعرفان أن هذه العلاقة بينهما غير جادة؟

«إدوارد...»

«ماذا، يا حبيبتي؟»

قالت: «إدوارد... أتوسل إليك...»

فهمس: «يا حبي... لا أستطيع الانتظار.»

همست:

«آه، يا إدوارد.. إنني أحبك.. أحبك..»

تلاشى همسها المرتجف وانتظرت منه، أن يضحك منها محولاً اعترافها الجدير بالشفقة، إلى نكتة.

ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، بل ابتعد عنها، ثم اتجه بها

نحو سيارته حيث أدخلها إليها، واستدار متخذاً مقعده خلف عجلة القيادة: «إدوارد...»

إلتفت إليها: «نعم؟»

«إلى أين نحن ذاهبان؟»

«إلى بيتي.»

فجفّ حلقها، أرادت أن تعترض، ولكن الأوان قد فات، فقد ضغطت قدمه بشدة على دواسة البنزين، وسرعان ما اندفعت السيارة.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

كانت سيارته هذه اكبر من حجم سيارته التي تعرفها في نيويورك، فهي منخفضة مستطيلة بالغة السرعة.

لم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي مرّ عليهما قبل أن يصلا إلى الفيلا التي يسكنها، كانت من دون عقل أو تفكير، وقد انكمش عالمها كله متمثلاً في هذا الرجل الذي بجانبها.

وعندما وقفت السيارة، نزل منها، ثم قادها إلى المنزل، حيث ادخلها إلى غرفة جلوس تعبق فيها رائحة البحر، ويغرقها ضوء القمر.

قال: «لقد انتظرتك طويلاً يا أوليفيا. يا عزيزتي الجميلة... الرائعة الجمال.»

كانت لفظة التدليل هذه، فيما مضى، يعني بها الإهانة، ولكنها الآن ملأت قلبها بالأمل.

• • •

وبعد أن وجدت ان الفرصة سانحة لتخبره بحقيقة علاقتها بزوج أمه، استجمعت شجاعتها وبدأت تسرد له كيف التقت به وكيف ان علاقته كانت مع رايا وليس معها، حتى اقتنع انها فعلاً بريئة مما نسبه إليها من إتهامات.

«كان يجب أن تخبريني. عندما أفكر في الأشياء التي كنت أقولها لك...»

فهزت رأسها قائلة بلطف: «إنس هذا.»

«كيف بإمكانك أن تسامحيني؟ إن ما فعلته نحوك لن.. لن..»

فتنهدت قائلة: «لم يعد هذا مهماً الآن، لقد أصبح كله من الماضي.»

فقال: «كلا، لم يصبح كذلك. إن عليّ أن أفسر...»

همست: «كلا. لا تفعل. فأنا أيضاً ملامة، لقد كان عليّ أن أصرّ عليك لسماع الحقيقة منذ البداية. ولكنك لم تسمح لي بذلك قط. ثم بعد فترة أصبحت أنا من الغضب بحيث تركتك تظن بي ما تشاء.»

فقال: «رايا، رايا اللعينة.. إنها السبب في كل ما حدث، آه، كم أود لو أشنق تلك السافلة.»

قالت: «تذكر ما سبق وقلت. قلت إنك لن تتحدث عنها مرة أخرى. وهذا ما أشعر به أنا أيضاً. فأنا لا أريد أن أسمع اسمها.»

«إنني أفهمك، يا عزيزتي ولكن...»

«لقد كنت تعني ما تقول، أليس كذلك؟ حين قلت إن رايا ليست مهمة.»

«أوليفيا. لا شيء مهماً سواك أنت.»

• • •

استيقظت أوليفيا وأخذت تتمطى في أشعة الشمس. ونادت: «إدوارد.»

ففتح الباب، «صباح الخير.» كان إدوارد يقف عند الباب يبتسم لها.

فقالت له: «صباح الخير.»

تقدم منها: «لقد ابتدأ اليأس يتملكني هناك في المطبخ.. كنت أحضر إليك كل عشر دقائق لأرى إن كنت قد استيقظت وذلك لمدة ساعة وأنا أواجه الموت جوعاً في المطبخ.»

ابتسمت قائلة: «هل تصنع الفطور؟»

فقال: «لا تظهري الذهول. نعم أنا أصنع الفطور. عصير برتقال طازج، وبيض مع اللحم، وبسكويت.»

فاتسعت عيناها: «بسكويت؟»

«حسناً، صحيح أنها من العلبة، ولكن يجب أن توضع في الفرن لتسخينها قبل الأكل. هل أعجبتك؟» ضحك وامتلأ فجأة، قلبها حباً.

فنظرت إليه، وهي تقول: «عليك أن تجتهد أكثر من ذلك، لكي تعجبني، يا سيد آرتشر.»

• • •

كان الفطور الذي صنعه إدوارد شيئاً عجيباً حقاً. كان ادوارد لا يفتأ يقول انه بذل جهده في ذلك، ولكنهما وجدا اللحم محروق الأطراف، والبسكويت متفحماً، والبيض المقلي كان كالجلود.

أكلا ما استطاعا أكله وهما جالسان على الشرفة المشرفة على البحر.

قالت اوليفيا برقة: «ما أجمل كل هذا.»

لقد انقلب عدوها فجأة، فكان الرجل الذي تحب، لو بإمكانها فقط ان تخبره بذلك، لو بإمكانها فقط ان تقول له، احبك يا ادوارد، وذلك بنفس السهولة التي قد تطلب منه ان يناولها وعاء السكر.

ولكنها قالتها له مرة، ولكنه لم يجب... «بماذا تفكرين؟»

أجفلت. كان ادوارد مائلاً نحوها وعلى شفتيه ظل ابتسامة.

«آسفة... لا بد انني كنت غارقة في احلام اليقظة، هل قلت شيئاً؟»

«سألتك عما تفكرين به.»

فقالت بابتسامة مرتجفة: «اظن... اظن انه كان على الهواء النقي واشعة الشمس ان تنعش دماغي، ولكنني أمضيت في هذه الجزر اياماً دون ان...»

وسكتت، فقال يستحثها: «دون ماذا؟»

فهزت كتفيها: «انني اعلم ان ما ساقوله سخيف، ولكنني لم اشعر بجمال تلك الأشياء. كنت... كنت مهتمة بأشياء أخرى...»

فقال بلهجة قريبة من الغضب: «فليكن اهتمامك، من الآن فصاعداً، بي انا فقط.»

انتظرت منه ان يقول شيئاً آخر، ولكنه لم يفعل، وبعد دقيقة، تنحنحت ثم قالت: «ادوارد، كيف عثرت علي؟»

فوضع فنجان القهوة جانباً، وقال: «لقد تركت أثراً من البلاستيك بمسافة ميل، يا عزيزتي.»

«تركت ماذا؟»

«في كل مرة كنت تسحبين فيها مبلغاً من بطاقة حسابك البلاستيكية. يتسجل وقت ومكان السحب.»

فقالت: «آه، بالطبع، وهكذا عرفت انت انني جئت إلى هنا للبحث عن رايا.»

قال باسماً: «حسناً، انني لم اظن انك قررت فجأة القيام بإجازة في منتصف فصل الشتاء.»

قالت باسمة بدورها: «كلا... انني...» وتنحنحت، كان هنالك سؤال آخر يتطلب جواباً، سؤال غبي باعتبار انها تعرف الجواب، ولكن...

«ادوارد؟» وازدردت ريقها. «هل جئت إلى الجزر بحثاً عني أم... أم عن رايا؟»

فاظلم وجهه قائلاً: «لقد سبق وقلت في الليلة الماضية انك لن تساعديني في البحث عنها.»

كان هذا صحيحاً، ولكن ذلك كان قبل ان يصبحا حبيبين، فقد كانت تريد، في ذلك الحين، ان تضع حداً لكل ما يربط بينهما... ان تخرج ادوارد من حياتها مرة واحدة وإلى الأبد... فرأت ان اسهل طريقة لذلك هو ان ترفض مشاركته في البحث عن رايا باسكومب.

ولكن كل هذا تغير الآن. لقد احبت ادوارد من كل قلبها، وإذا لم تكن من الحماقة بحيث تظن أنه يحبها هو أيضاً، فقد كانت تعلم انه يشعر نحوها بشيء خاص، شي قد يتجاوز مجرد الإعجاب الذي تثيره في نفسه.

فإذا كانت تحبه، فهل من الصواب ان تنكر عليه ما يريد؟ ان تحت امرته مصادر لا تنتهي، وكل ما عليها ان تفعل، هو ان تسلمه البطاقة البريدية الموجودة في غرفتها في الفندق، وبهذا ينتهي من التفتيش.

«أليس هذا ما كنت قلته يا اوليفيا؟»

«نعم، ولكن...»

فقال بجزم: «لا اريد المراجعة، ولنضع حداً لهذا الحديث.»

«ولكن ماذا عن الشركة التي تركها تشارلز لها؟ لقد كنت

بالغ التصميم على استعادتها... اتريد ان تقول انك ستنسى هذا الأمر؟»

فهز رأسه: «قلت فلنضع حداً لهذا الحديث.» وشدها من يدها يوقفها قائلاً: «والآن، هيا بنا، لدينا اشياء علينا ان نقوم بها هذا النهار.»

فابتسمت قائلة: «لدينا أشياء؟»

«نعم، أولاً علينا ان نذهب إلى حيث كنت مقيمة ثم نحزم امتعتك.»

فقالت: «آه، لقد كدت انسى، علينا ان نعود إلى نيويورك.»

فقال: «كلا، لن نذهب.»

«لن نذهب؟ اعني، بعد ان تركت مسألة التفتيش عن رايا...»

«لماذا نعود إلى برد الشتاء في نيويورك بينما بإمكاننا ان نمكث هنا في أشعة الشمس الدافئة؟»

«بإمكاننا؟»

«نعم، فكرت أن بإمكاننا ان نحضر اشياءك إلى هنا ثم نمكث فترة. ما رأيك؟»

«نمكث هنا؟ اتعني معاً؟»

فابتسم قائلاً: «حسناً، بصحبة السحلية، بالطبع، اتفقنا؟»

فحملقت فيه بينما هو تابع قائلاً: «إذا كنت تفكرين في إعادة فتح محلك حلم اوليفيا.» لم يكن هذا صحيحاً... حتى انها لم تفكر في محلها ذاك، قالت برفق: «عليك ان تعلمي ان الوقت مازال مبكراً لذلك. ان الناس سينسون مع مرور الوقت، إنما...»

«انما لم يحن ذلك الوقت بعد. اعلم ذلك، ولكن الانتقال...»

«ولكن السحلية ستكون معنا، لا تنسي ذلك، لا تنسي السحلية.» وعندما لم تجب، بهتت ابتسامته قليلاً: «اتوحشك العزلة هنا، والبحر، والرمال؟»

فقالت بسرعة: «آه، كلا، ليست هذه هي المسألة، اعني... اعني ان فكرة البقاء هنا، هي... هي...» وخانتها شجاعتها، فقالت بلهجة قلقة: «هي فكرة ليست حسنة جداً.»

فأخذ يضحك: «ليست حسنة جداً؟» والتفت إلى السحلية النائمة على الشرفة يسألها: «هل سمعت هذا، يا رفيقة؟ لقد صنعت لهذه المرأة هنا فطوراً رائعاً...»

«ادوارد...»

«ما هذا، يا رفيقة؟» وقطب جبينه: «ان السحلية تقول ان ليس في شخصي ما يمكنك الشكوى منه.»

فضحكت قائلة: «اصحيح هذا؟»

«انها تقول ان فكرة العيش على اللحم المحروق والبيض المقلي إلى حد الجفاف، هو ما يقلقك.»

«ادوارد صدقني...»

«ولهذا تريد السحلية مني ان اخبرك ان هناك مدبرة منزل تأتي كل يوم للطبخ وتنظيف البيت.» وهمس مضيفاً: «ألا تريدين البقاء، يا عزيزتي؟»

فترددت، انها تريد ذلك، طبعاً، ولكن ذلك شيء غير حسن.

ونظرت إلى ادوارد، أليست هي، باعتبارها من الطبقة الوسطى، هي التي اساءت الحكم؟ كانت لديها فكرة خاطئة عن رايا، وعن تشارلز... وخاطئة جداً بالنسبة إلى ادوارد.

فهو طيب جداً، وبالغ الرفق، وإذا كان يبدو بغير هذه الصفات، فما ذلك إلا لأنه كان اساء الحكم عليها.

ولم يكن وضعها يقنعه بخطأ حكمه ذاك عليها.

«اوليفيا؟»

رفعت بصرها إليه، كان ينظر إليها، وعلى شفتيه ابتسامة استطلاع، وفي عينيه نظرة لم تر مثلها من قبل. وتملكتها الحيرة بينما امتلأ قلبها حبوراً.

قالت ساخرة: «هل انت واثق من انه ليس علي ان اتقبل طهوك؟»

فبدا الارتياح في عينيه، وقال ضاحكاً: «انك إذن ستبقين؟»

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

«... للعشاء؟»

استدارت وقالت بابتسامة سريعة: «آسفة... لم اسمع.»

«قلت هل نذهب لتناول العشاء في الخارج، أم نتناوله هنا؟»

أجابت على الفور: «بل هنا، على الشرفة، فيكون بإمكاننا مراقبة غروب الشمس، اعني إذا كان هذا يناسبك.»

«يناسبني طبعاً.» وتقدم نحوها باسماً. «إذن، فبيتي يعجبك؟»

«آه... لقد احببته...» ورفعت حاجبيها. «هل هذا البيت ملكك؟»

أومأ قائلاً: «نعم، بأكمله. انني لا احضر إليه كثيراً كما أرغب... فقط لأسبوعين أو ثلاثة كل شتاء، ولكن، ماذا جرى يا عزيزتي؟»

أجابت:

«لا شيء، كل ما في الأمر انني اجد مشقة في استيعاب هذا كله، ان هذه الفيلا ملكك، وكذلك تلك الشقة في مانهاتان والبيت الصيفي في إيست هامبتون.»

«وهنالك شقة في لندن أيضاً، إذا كان لهذا أهمية.» قال ذلك بابتسامة حائرة. «فأنا اذهب إلى هناك في شؤون عملية عدة مرات في السنة، ثم...» وهز رأسه. «ربما غاب

عني شيء ما، يا اوليفيا، هل هنالك خطأ في ترتيبات سكني؟»

فوقفت قائلة: «كلا، كلا طبعاً، لقد كنت فقط افكر في مقدار الفرق بيننا، انا وأنت.»

وهمس صوت في اعماقها (إنه بقدر الفرق بين الليل والنهار).

همس بصوت أجش: «هو ذاك، ثمة اختلاف طبعاً بيننا. وهذا شيء رائع تماماً.»

وعاد هو يقول: «يا لهذا الوجه المتجهم.»

هزت رأسها قائلة: «انني آسفة، يا ادوارد. انني فقط...»

«إذا كنت تظنين انني سادعك تهربين مني الآن، بعد كل المشاكل التي مررت بها لكي تصبحي في قبضتي...» فلم تتمالك من الابتسام وهو يزمجر في وجهها مازحاً، قال: «لقد وقعت في المصيدة، وحصلت عليك، ولا يمكن ان اطلق سراحك.»

وجعلها سروره هذا تشعر فجأة، بحماقتها، لماذا تفسد سعادتهما بهذه الأفكار؟

وتنهدت قائلة: «لقد وقعت. لقد اوقعتني، و...»

«والآن سأبقيك معي.»

همست:

«كيف؟»

مرت فترة صمت قصيرة جداً، قال ادوارد بعدها وهو يضحك: «ساتمكن من ذلك، على كل حال، يا عزيزتي.» كان في صوته خشونة، فنظرت إليه بسرعة، نصف خائفة من أن

تراه يعود فيتحول إلى ذلك الرجل الغريب الذي اقتحم حياتها بعنف، منذ اسابيع خلت.

قالت: «ماذا حدث يا ادوارد؟»

نظر إليها، وللحظة خاطفة، بدت عيناه فاترتين، ولكنه مالبث ان ابتسم قائلاً: «لقد خطر لي انه ليس لدي فكرة عما إذا كان في المنزل أي شيء يصلح للعشاء.»

فضحكت قائلة: «الرجل يفكر دوماً في معدته.»

قال ضاحكاً: «هذا افضل. هل قلت لك ان مدبرة المنزل تلك تقول ان ليس بإمكانها القدوم الينا قبل الأسبوع القادم حيث انني لم اخبرها بقدومي من قبل؟»

فقالت بمرح: «آه، لقد فهمت. انك إذن تريدني ان أبقى هنا لكي انقذك من طهوك الفظيع.»

«حسبما أعلم، ان كل ما تحسنين طهوه هو القهوة.»

فقالت باسمة: «ساجعلك تعلم انني طاهية عالمية درجة أولى، مادام يوجد هنا فتاحة علب وثلاجة. والآن فلننزل إلى المطبخ و...»

هز رأسه قائلاً:

«سأكون عندك بعد دقائق.»

فقالت بلهجة مأساوية: «انك ستفعل أي شيء فقط لكي تتجنب واجباتك في المطبخ، أليس كذلك؟»

«لقد حزرت يا عزيزتي. والآن، دعيني اغتسل واغير ملابسي، وسألحق بك. اتفقنا؟»

فهمست باسمة: «لا بأس، فلا تتأخر.»

قال: «خمس دقائق لا تزيد ثانية واحدة.»

اخذت تدندن وهي تصنع العشاء. كان المطبخ عصرياً

حسن التجهيز. وجدت قطعاً من اللحم البفتيك في الثلاجة فأدخلتها في الفرن ثم وضعتها على الشواية الكهربائية بينما اخذت تصنع السلطة. بعد ذلك بنصف ساعة، كان العشاء جاهزاً... ولكن ما زال ادوارد لم ينزل بعد. فذهبت إلى اسفل السلم واخذت تناديه، وعندما لم يجب، صعدت السلم.

هتفت وهي تفتح الباب الذي كان نصف مفتوح: «ادوارد؟»

كان جالساً على حافة السرير وظهره إليها وعلى اذنه سماعة الهاتف.

كررت: «ادوارد؟»

نظر إليها من فوق كتفه، وعندما رأت نظرة الغضب في عينيه، تراجعت إلى الخلف بسرعة.

قال متحدثاً في الهاتف: «قوموا بذلك، وتصرفوا بسرعة.»

وضع السماعة مكانها بعنف ثم تنفس الصعداء. وعندما استدار نحوها مرة أخرى، كان وجهه هادئاً.

قالت وهي تنظر في عينيه: «لم اكن اقصد التطفل، انما...»

فقال بابتسامة متوترة وهو يتقدم نحوها: «انه العمل، فهو يتبعني اينما ذهبت.»

أومأت قائلة: «كنت تبدو... غاضباً جداً...»

اختفت ابتسامته: «أحقاً؟ حسناً، اظن هذا صحيحاً. رائحة البفتيك الشهية، كانت اسرع بي إلى النزول عندما اعادني، فجأة، رنين ذلك الهاتف.»

فرفعت رأسها إليه: «ولكن، يا ادوارد...»

همس: «هس.» وفي الوقت الذي وصلا فيه إلى المطبخ، كان البفتيك قد اصبح متفحماً... ولكن لم تكن لذلك أية اهمية... الأهمية كانت للسعادة التي غمرت قلب اوليفيا.

مرت الأيام ببطء، اياماً استوائية بين البحر والشمس الدافئة، لا شيء اقتحم عليهما عزلتهما، حتى ولا مدبرة المنزل ذات الصوت الرقيق التي كانت تأتي في الصباح الباكر، وترحل قبل الظهر. كانا يقومان بأشياء عادية، ولكن قيامهما به معاً كان يجعله غريباً رائعاً سواء كان ذلك مراقبتهما مراكب الصيد، أم رؤيتهما فراس البحر تتقافز في مياه البحيرة القائمة عند الشاطىء.

كانت اوليفيا تستيقظ احياناً، في الليل، فتستمع إلى همس البحر، وهي تحاول ألاّ تتساءل عما إذا كانت سعادة مثل هذه، تدوم.

ولكن الجواب قد جاءها على كل حال، وذلك ذات يوم كان يبدو عادياً مثل غيره من الأيام. كان ادوارد قد استأجر مركباً شراعياً ذا ساريتين سبق وذهبا عليه لزيارة جزيرة كات وكذلك جزيرة سان سلفادور الرائعة الجمال، كانا في ذلك اليوم متوجهين نحو اكزوماس وهي سلسلة من الجزر الصغيرة كان ادوارد قد اخبرها انها ذات جمال لا يصدق.

في منتصف الطريق، جاءهما أحد البحارة يخبره انه مطلوب إلى الهاتف الراديو.

ورأت اوليفيا ملامحه تتوتر وهو يقول: «انه العمل.»

وذلك بصوت متوتر اعاد إلى ذاكرتها تلك المكالمة الهاتفية التي كانت هي قد دخلت عليه اثناءها.

أومأت له برأسها قائلة: «لا بأس. انني متفهمة لذلك.»

انتظرت على سطح المركب، حيث كان الهواء يتلاعب بشعرها بينما كان المركب يشق طريقه بسهولة خلال الريح، وفكرت، باسمة، في مبلغ الحب الذي تشعر به نحو هذه الجزر. كانت تراها، في البداية، مجرد اشراك ملمعة لاجتذاب السياح، اما الآن، فهي تراها على حقيقتها، جواهر مبثوثة على صفحة البحر اللازوردي، وحيث يمكنها التجوال بين واجهات المتاجر التي تعرض كل النفائس العالمية...

ان وجودها مع ادوارد هو الذي جعلها تشعر بكل هذا، ولشد ما تحبه. لا بد ان تكون هنالك كلمة أخرى تعبر عن شعورها نحوه، غير كلمة الحب العادية هذه، كلمة تصف كيف يقفز قلبها من مكانه كلما رأته، أو كيف يحمل صوته الابتسامة إلى شفتيها.

لفت سمعها صوت فالتفتت لترى ادوارد خارجاً من قمرة المركب.

هتفت تناديه، ولكنه لم يكن ينظر إليها، بل استدار ليسير نحو الطرف الآخر من المركب حيث وقف يحدق في البحر وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه، تلاشت ابتسامة اوليفيا. لم تستطع ان ترى وجهه، ولكنها لم تكن بحاجة إلى ذلك، فقد كان التوتر بادياً عليه.

تملكتها قشعريرة باردة، بالرغم من حرارة الشمس، بينما كانت تسير ببطء إلى حيث كان يقف.

«ادوارد؟» انتظرت لحظة، ثم تقدمت تقف بجانبه، «ادوارد؟ هل كل شيء على مايرام؟»

استدار ببطء ونظر إليها، فحبست انفاسها لما رأته في عينيه.

كان غضباً هائلاً... ويا له من غضب... ولكنه سرعان ما طرفت عيناه، وابتسم، ثم تبدد كل شيء.

قال: «مرحباً يا عزيزتي. آسف لتأخري في المكالمة.»

«هل ثمة خبر سيء؟»

«ماذا؟»

«قلت هل ثمة خبر سيء سمعته لتوك؟»

«آه، آه، كلا... ليس هنالك خبر سيء. انه فقط... انه بشأن العمل فقط. انك على دراية بهذه الأمور.»

كان هذا ما قاله في المرة السابقة.

بدا لها وكأنه كان يريد التخلص من اسئلتها، ولكن أية اسئلة يمكن لها ان توجهها بشأن اعماله؟

وفي ذلك المساء، كانا جالسين في شرفة المنزل يشربان القهوة.

تنهدت اوليفيا قائلة: «لم اشعر قط من قبل، بمثل هذا الكسل الذي اشعر به الآن. لقد احسنت مدبرة منزلك في ان تركت لنا شيئاً من السلطة...»

فقاطعها: «كلا.»

نظرت إليه. كان واقفاً عند درابزين الشرفة وظهره إليها.

فقالت: «حسناً، يمكنني إذن ان اشوي...»

فقال: «اننا سنخرج هذا المساء.»

«نخرج؟ ولكن...»

«اننا لم نخرج في المساء منذ احضرتك لتمكثي معي هنا.»

لتمكثي معي هنا انه دوماً يقول لتمكثي معي هنا، وليس لتعيشي معي.

قالت وهي تجذب نفساً عميقاً:

«هذا ليس ضرورياً.»

فابتسم:

«وقبل ان تخبريني انك لا تملكين ثوباً مناسباً، ترتدينه...» وأمسك بيدها يجرها إلى داخل المنزل وهو يدفعها برفق امامه: «ما رأيك بذاك؟»

وكان ذاك ثوباً حريرياً وردي اللون ملقى على السرير وبجانبه حذاء من الحرير وحقيبة يد تلائمه. كان ثوباً قد شاهداه ذات صباح، منذ يومين في واجهة متجر للأزياء في الجزيرة.

لقد قال لها ادوارد حينذاك: «لا بد ان من صنع ذلك الثوب، كان يفكر فيك.»

تنهدت هي، عند ذاك، وهي تجيبه: «لا بد ان من صنع ذلك الثوب كان يفكر بقارون وامثاله ممن يستطيعون دفع ثمن ثوب كهذا.»

وكان جوابه باختصار: «بإمكاني انا ذلك.» ولم يلن الا بعد ان رفضت بتاتاً دخول المتجر وجرته معها بعيداً عن تلك الواجهة.

ولكن يبدو أن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فقد اشترى الثوب وملحقاته، من حذاء وحقيبة، وها هي ذي جميعاً ملقاة في انتظارها.

ولكنها لم تشعر لرؤيتها بأية بهجة، وفكرت، بدلاً من ذلك، في ثمنه الذي كان يماثل ما كان تشارلز رايت ينفقه على هداياه إلى رايا.

ونظر ادوارد إليها... ما الذي جرى لها اليوم؟

«ألم يعجبك الثوب؟»

«اعجبني طبعاً، ولكن ما كان لك ان تشتريه، يا ادوارد، انك...»

وسكتت... كيف بإمكانها ان ترفض منه شيئاً وهو ينظر إليها بهذا الشكل؟ انها لم تره من قبل، لا ولم تتصوره، وعلى وجهه مثل هذا التعبير عن كرامة مجروحة، وكأن... وكأن...

حدّق في عينيها وقال: «لا ترفضيه، يا حبيبتي. فهذه ليلة خاصة. لقد سبق وحجزت مائدة في مطعم على الشاطىء، وجناحاً من الغرف...»

فقالت باسمة: «ولكن لدينا مائدة محجوزة، على الشاطىء، وجناحاً من الغرف. أي مكان يمكن ان يكون اجمل من هذه الفيلا؟»

فقال برقة: «ارتدي هذا الثوب. ان الطائرة ستكون هنا قريباً، و...»

فحدقت فيه ذاهلة: «ماذا؟ اتعني اننا ذاهبان إلى العشاء بالطائرة؟ هل انت مجنون يا ادوارد؟» ولكن عندما تلاقت اعينهما، عادت فقالت: «لا بأس، إذا كانت هذه رغبتك...»

قال: «نعم، انها رغبتي.»

فهل بإمكانها ان ترفض، بعد هذا؟

بدت في ذلك الثوب كأميرة في حكاية خرافية. وهمس ادوارد وهو ينظر إليها: «رائعة.»

وكان هذا ما كانت تفكر فيه، هي أيضاً، وهي تنظر إليه. اسمر رائع الوسامة في جاكتة العشاء البيضاء والبنطلون الأسود.

قال لها بلطف: «استديري.» وعندما فعلت، رفع شعرها فشعرت باصابعه خلف رقبتها. «والآن، انظري في المرآة، يا حبيبتي.»

«اوه... يا ادوارد...» وسكتت. لم تجد الكلمات التي يمكنها ان تصف بها جمال تلك الزمردات التي كانت تتلألأ حول عنقها، وتلاقت اعينهما في المرآة، فهمست: «ادوارد، لا... لا استطيع.»

«بل تستطيعين.» كان غاضباً تقريباً. ثم خرج بها من المنزل إلى الشاطىء حيث كانت طيارة بحرية صغيرة في الانتظار.

اخذتهما الطائرة إلى جزيرة ايلوثيرا حيث كان نزل ذو اعمدة بيضاء قائماً بجانب البحر، كان ادوارد قد قال لها ان كل شيء فيه في منتهى الروعة. ولكن ليس ثمة كلمات كانت تصف جمال هذا المكان بشموعه وأزهاره وانغام القيثارة الحالمة تتجاوب في انحائه. كل من كان هناك من موسيقيين ومسؤولين عن الطعام وموظفين... كانوا كلهم موجودين لأجلهما فقط.

وهمست اوليفيا له وهما جالسان إلى المائدة: «أين بقية الزبائن؟»

فأجابها غامزاً بعينه: «لا بد انهم يأكلون في بيوتهم.»

«ولكن...» واتسعت عيناها. «ادوارد... هل... هل حجزت هذا المكان باجمعه، لاجلنا فقط؟»

كان قد قال لها انها ليلة خاصة، وفجأة، تبددت كل سحب الشك من ذهنها. وامتلأ قلبها بغبطة اوقفت منها الأنفاس.

لقد وقع ادوارد في غرامها، وهذا هو السبب في كل هذا، لقد وقع في غرامها. وفي هذه الليلة... هذه الليلة، سيخبرها بذلك. وهذا هو السبب في التوتر الذي لاحظته فيه طوال النهار.

كانت تهتف في اعماقها، ادوارد كم احبك اوه، ما اعظم حبي لك. كيف استطيع اخبارك؟ كيف استطيع ان اريك مقدار ما اكنه لك من حب...؟

«مساء الخير يا سيدتي؟» فرفعت نظراتها، كان رئيس الخدم واقفاً بجانب مائدتهما مبتسماً بأدب وهو يتابع قائلاً: «كيف حالك هذا المساء؟»

وفكرت هي في أنها سعيدة... سعيدة...

ومال ادوارد نحوها قائلاً: «هل انت بخير يا حبيبتي؟»

أجابت برقة: «آه، نعم. نعم، شكراً، انا بأتم خير.»

تنحنح رئيس الخدم ثم قال: «ان لدينا عدة خبراء لتلبية متطلباتكم هذه الليلة يا سيدتي. ولقد جهز الطاهي لكما مختلف انواع الاسماك والصدفيات و...»

فأمأت اوليفيا برأسها: «لا بأس...»

«أو ربما تفضل سيدتي البطيخ الأصفر والبفتيك؟»

فضاق صدرها. ان ما تفضله هو ان تكون وحدها مع ادوارد، ان تجد طريقة تخبره بها بمبلغ تقديرها له.

«وعندنا حساء سلاحف ممتاز مصنوع من مرق طازج وليس من المعلبات المحفوظة، و...» المعلبات... وجمدت اوليفيا في مكانها. المعلبات شركة جيميني للمعلبات...

وصبرت إلى ان انتهى رئيس الخدم من كلامه، وهي تومىء برأسها بين الفينة والأخرى ولا تكاد تفهم ما يقول، موافقة على كل ما يقترحه، ثم انتظرت، وقد كاد صبرها ان يفرغ، إلى ان انتهى ادوارد، هو أيضاً، من طلب ما يريد، فمالت إلى الأمام: «ادوارد؟» وترددت، ثم عادت تقول: «لقد كنا... قلنا اننا لن نذكر اسم رايا مرة أخرى...»

فقال بسرعة: «لا اريد ان نتحدث عن رايا، يا اوليفيا، ليس الآن على كل حال.»

«كلا. كلا، ولا انا اريد ذلك. حسناً، ولكن...» وابتسمت. «انني اعلم ان تلك الشركة... شركة معلبات جيميني يهمك امرها كثيراً.»

فتوتر فكه، وقال محذراً: «اوليفيا...»

«واظن.. اظن ان عليك ان تحصل عليها، يا ادوارد. اعني ان لك الحق في ان تتحدث إلى رايا وتقنعها...»

قال بحدة: «اللعنة. لماذا تصرين على التحدث عن هذا الأمر الآن؟»

فسحبت نفساً عميقاً: «لأن... لأنني اريد ان اساعدك. بإمكاني ان اساعدك، يا ادوارد. انني... انني اعرف مكان رايا.» وانتظرت ان يقول شيئاً، ولكنه بقي جامد الأسارير، لا يبدو في عينيه أي تعبير. فاندفعت تقول: «ان لدي بطاقة

بريدية. بطاقة قديمة. وعليها صورة فندق. الموضوع هو ان لدي شعوراً عميقاً بأن رايا هناك. اعني هنا في هذه الجزر. لم استطع العثور على المكان، ولكن ذلك بإمكانك يا ادوارد، فلديك الوسائل لذلك و...» واستقامت في جلستها. «كان عليّ ان اخبرك بذلك منذ ايام. اعلم ذلك ولكن عندما نعود إلى البيت، سوف...»

فقاطعها بصوت فاتر: «جزيرة كروكد.»

نظرت إليه اوليفيا قائلة وهي تطلق ضحكة قصيرة: «ماذا؟»

«ان رايا في جزيرة كروكد. شيء حسن، أليس كذلك؟ انها هناك منذ تركت نيويورك.»

حملقت اوليفيا فيه. «اتعني انك عثرت عليها؟ ولكن كيف؟ ومتى؟ انني لم...»

«اليوم. وكان هذا سبب المكالمة التي جاءتني على المركب الشراعي. لقد عثر رجالي عليها لتوهم.»

«ولكن كيف امكنهم ذلك؟»

توتر فكه مرة اخرى، وتنفس بعمق، ثم قال: «ان البطاقة البريدية عندي، يا اوليفيا.»

«انها ليست عندك، فهي في جيب...»

«لقد اخذتها من حقيبتك في اليوم الذي نقلتك فيه إلى منزلي.»

حملقت فيه: «ماذا فعلت؟»

فقال بصوت بارد وقد تجهم وجهه: «لقد اخذتها، كنت اعلم ان سبب مجيئك إلى هذه الجزيرة لا بد ان يكون وجيهاً تماماً، وانك تعلمين شيئاً لا اعلمه انا.»

حدقت فيه تقول: «اتعني انك... انك بحثت في امتعتي؟»

«نعم.»

فحملقت فيه: «نعم؟ نعم؟ اهذا كل ما بإمكانك قوله. أتسرقني يا ادوارد؟ انت...»

«لقد كنت قلت انك لن تساعديني.»

وابتدأت تتذكر كل شيء تباعاً... «نهاية الحديث» هذا ما كان يقوله عندما كانت تحاول ان تخبره عن رايا، وكان هذا صحيحاً، فلم يكن ثمة حاجة للحديث بعد ان وجد ما يريد. لم يكن ادوارد يريدها هي. كان يريد فقط ان يصل إلى ما لديها من معلومات، وهذا كان سبب نقله لها إلى منزله، سبب قوله لها كل ذلك الكلام الجميل الذي كانت تريد سماعه...

قال: «كنت سأخبرك بذلك هذه الليلة.»

فقالت وهي تجاهد لكي لا يرى ألمها: «أحقاً؟» وكان صوتها رتيباً جامداً.

«نعم. وهكذا عليّ ان اسافر إلى نيويورك صباح الغد.»

فتشبثت اصابعها بغطاء المائدة المزخرف. ها قد فهمت الآن. هذه الليلة ستكون عبارة عن اعطائها حسابها وطردها من العمل... أو لعلها سهرة الوداع، أو مهما يكن اسم لحظة كهذه، هذا هو سبب هذا الثوب الغالي، وهذه الزمردات، وهذا العشاء الاحتفالي.

قالت بلهجة متوترة: «فهمت.»

«كلا، يا اوليفيا. انك لم تفهمي شيئاً.»

«آه، بل فهمت.» وأرغمت نفسها على النظر إليه. «وما

هي خططك التي وضعتها بشأني؟ انك وضعت خططاً بشأني يا ادوارد، أليس كذلك؟»

قطب حاجبيه قائلاً ببطء: «فكرت في انك قد لا تحبين المجيء معي. ان بإمكانك البقاء على الشاطىء على الرحب والسعة إلى ان...»

فاندفعت واقفة على قدميها وهي تترنح. «اوليفيا؟» وتدحرجت الكرسي إذ دفعها إلى الخلف بعنف وهو يقول: «اوليفيا، اين تذهبين؟»

همست بصوت مرتجف: «إبق بعيداً عني يا ادوارد.» وامتدت يدها إلى عنقها تنتزع عقد الزمرد ثم تلقي به على المائدة. «فقط، إبق بعيداً.»

«اوليفيا... تباً...»

«هل هنالك مشكلة يا سيدي؟»

وكان رئيس الخدم قد وقف بينهما في الوقت الذي اندفع فيه ادوارد واقفاً. وكانت هذه فرصة سرعان ما انتهزتها لتستدير، ثم تركض بسرعة خلال المطعم، بينما سكتت الموسيقى فجأة، وجمد الجميع في اماكنهم ذاهلين.

أين تذهبين؟ هذا كان سؤال ادوارد لها، حسناً، كانت تعلم إلى أين هي ذاهبة. كانت ذاهبة إلى حيث تبتعد عن هذا المكان، وهذا الرجل، قدر امكانها. لقد سبق وحاولت ذلك من قبل، ولكنه لحق بها وهزمها، ومن ثم لم تعد حياتها قط كما كانت.

ولكن الأمر سيختلف هذه المرة، وقفزت إلى سيارة اجرة كانت واقفة. هذه المرة لن تكون من الحماقة بحيث

تخبر سائق السيارة عن وجهة غير تلك التي تستعيد فيها حريتها.

قالت له لاهثة: «إلى المطار.» وعندما اندفعت السيارة لتستدير حول المنعطف استدارت هي لترى ادوارد يندفع خارجاً من الباب، ثم يقف يتطلع بعجز إلى الطريق حيث توارت بها السيارة في اعماق الظلام.

www.elromancia.com

الفصل الثاني عشر

ابتدأت اوليفيا تفكر، بشكل هادىء، بعد خمس دقائق من ابتداء رحلتها. كيف بإمكانها ان تستقل الطائرة وهي ترتدي مثل هذا الثوب؟ فالوقت في نيويورك مازال شتاء. وهي تعلم ان ثمة ثلوجاً في الطرقات. هذا إلى ان عليها ان تتخلص من كل أثر لادوارد على جسمها، من ثوب، وحذاء... ومالت إلى الأمام، وتنحنحت تخاطب السائق: «انني بحاجة إلى تغيير ثيابي التي ارتديها. هل هنالك متجر مفتوح في مثل هذا الوقت، استطيع شراء بعض الثياب منه؟»

نظر إليها السائق من خلال المرآة امامه، ولما رأى وجهها الشاحب المذعور، لم يوجه أي سؤال، وبعد ذلك بدقائق، وقفا امام سوق في الهواء الطلق، مازال محتشداً بالسياح.

دخلت إلى السوق كأميرة، لتخرج منه امرأة من العامة، ولكن، ألم تكن هذه هي دوماً؟ ابنة اخ مدبرة منزل؟ وخنقتها غصة. لقد كانت رايا تدرك هذا على الدوام، وكذلك ادوارد، والشخص الوحيد الذي كان من الحماقة بحيث تجاهل هذه الحقيقة، كان اوليفيا نفسها، ولكن كل ذلك قد انتهى الآن.

كان المطار مزدحماً بالرغم من تأخر الوقت. فالناس يأتون ويذهبون، كلهم يضحك وكلهم سعيد، وشعرت بنفسها

كالمنبوذة بينهم، ولكن لم ينتبه إليها أحد مطلقاً، حتى ولا قاطع التذاكر الضاحك أبداً، والذي قال لها: «نعم، هنالك مقعد خالٍ في الرحلة القادمة إلى نيويورك، ثم اكمل الاعجوبة بأن قبل بطاقة اوليفيا المصرفية، فقد كانت متأكدة من انها تجاوزت حسابها في المصرف منذ مدة طويلة.

ولكن، لم يكن هذا مهماً، فقريباً جداً ستعلن افلاسها فيما لو لم يتغلب محل حلم اوليفيا على الفضيحة، وهي حالياً، لم تكن لتهتم مطلقاً سواء تحقق هذا أم لا، وشعرت بالتوتر، فالتفتت لترى ادوارد متقدماً بخطى واسعة نحو البوابة حيث كانت تنتظر، طويلاً اسمر مهيباً وسيماً، وكان يسير وكأن العالم كله ملكه، بينما الغضب العنيف الذي كان يكسو ملامحه جعل دمها يتجمد في عروقها.

تحولت الرؤوس نحوه، وتصاعد الهمس في أثره، ولكنه كان غافلاً عن هذا كله... الحواجب المرفوعة، نظرات الاعجاب من النساء، والتقييم من الرجال... كان يهدف إلى شيء واحد، وهو العثور على اوليفيا، وانكمشت راجعة إلى مكتب قاطع التذاكر المغلق، ثم انكمشت متراجعة مرة أخرى إلى ان التصقت بالجدار انها تعرف لماذا يريد العثور عليها... ان ادراك ذلك ليس فيه اي مشقة.

لم يكن من السهل تجنبه، ولكن كل شيء كان في صفها. فهي أولاً، رأت ادوارد قبل ان يراها، ثم انها لم تكن ترتدي تلك المصيدة الثمينة التي لفها بها، وإنما بنطلون أبيض أشبه بالكيس، وقميصاً قطنياً فضفاضاً عليه سترة فضفاضة مثله. وكان على رأسها قبعة قش كذلك ذات

حواف عريضة قصدت من وراء شرائها إخفاء اجفانها المحمرة عن نظرات الفضوليين، قبل أي سبب آخر. وقد خلعتها الآن لتضم شعرها إلى أعلى، باصابع ترتجف، ثم تعيد القبعة فوقها ثانياً، لم يكن التخفي كاملاً، ولكن هذا كان كل ما بإمكانها القيام به.

أخيراً، وقف ادوارد ويداه على وركيه وقد رفع رأسه فبدا منظره جامداً خطراً، ودار بعض الناس حوله، كما يسبح السمك بحذر حول سمكة القرش. وعادت اوليفيا تقف في الظلال.

عندما نودي على رحلتها، تقدمت بسرعة إلى الأمام مختلطة بمجموعة ضاحكة من الرجال والنساء.

«مرحباً يا حلوتي.» وضحك لها الرجل الأقرب إليها «من أين انت قادمة؟»

فاغتصبت ابتسامة وهي تقول: «مرحبا.» ومالت عليه تاركة جسمه السمين يحجب جسمها أثناء سيرهما في الطريق المنحدر وعندما مرا بجانب ادوارد، اختلج احساسها وتوقفت انفاسها، وهي تترنح امام الرجل الغريب.

قال الرجل ضاحكاً: «لقد مر الأمر بسهولة، أليس كذلك؟ انني ادرك شعورك بالضبط. تمسكي بي جيداً ودعي بيلي العجوز يوصلك إلى الطائرة بأمان.» وهذا ما حدث. ولكن التوتر لم يفارقها، لا عندما اغلق باب الطائرة، ولا عندما تحركت الطائرة نحو مهربها، وعندما استقامت الطائرة في السماء، وحلت الأحزمة بقيت اصابع اوليفيا مشتبكة في حجرها.

«مرحباً يا طفلتي، كيف الحال؟» ورفعت اوليفيا عينيها لترى الرجل الذي اوصلها معه، وهو يتجه للخروج فاستطاعت ان تمنحه ابتسامة سريعة وهي تقول: «بخير.» ولكنها لم تكن بخير ابداً، فقد كانت تتحطم في داخلها. وكانت تتمالك نفسها وكأنها مصنوعة من البلور بحيث تكون معرضة للكسر لتصبح مليون قطعة، هذا إذا هي اطلقت لمشاعرها العنان.

لقد فعل ادوارد هذا بها.

كيف سمحت لنفسها بالاعتقاد بأنها تحبه؟ وتنفست بثبات. لا بأس، فهذا يكفي. انها الآن امرأة ناضجة. فهي لن تقفل الباب على نفسها في غرفتها لتبكي قلبها المحطم لأن رجلاً مثل ادوارد آرتشر قد استغلها. انها أقوى من ذلك.

فليذهب إلى الهلاك، فهي ليست بحاجة إليه. ان لديها نفسها... نفسها وحلم اوليفيا.

وهذا لم يذهب بعد. لقد كانت تتعثر طوال الوقت، تاركة اولاً، تلك الصحيفة البالية، الثرثار، ومن بعدها ادوارد، يلقيان بها فريسة للذعر في وقت كان عليها فيه، ان تكافح، صامدة، في سبيل ما هو حق لها. فهي تملك وسائل مختلفة. منها ان تشارلز سامحها بالمال الذي كان اقرضها إياه وإذا ما استولت عليه المحكمة، أو المصرف، يبقى لها منزلها في المدينة. ولديها أشياء أخرى، أيضاً، غير محسوسة ولكنها حقيقية تماماً، المهارة، الموهبة، التدريب. ثم هناك العزيمة التي جعلتها تتحول من بيئة الخدم في منزل باسكومب إلى حلم اوليفيا.

انك ستفقدينه، هذا ما كان ادوارد قاله لها، فقد كان هذا

احد اساليب التهديد التي ارغمتها على دخول فخه. حسناً، ربما ستفقده، ولكن ليس من دون قتال. فادوارد لا يعلم مقدار اهمية حلم اوليفيا بالنسبة إليها، فهو لا يؤمن لها الاستقرار المادي فقط، بل الاحترام كذلك. «سيدتي سادتي، نرجو شد الأحزمة، ولأن الطقس صافي، وصلنا قبل ربع الساعة من الوقت المحدد.»

ولكن اوليفيا كانت تفكر، بعزيمة بالغة، ان الوقت ليس مبكراً على الاطلاق، فأمامها حياتها عليها ان تستجمعها من جديد، بينما ليس لديها من الوقت سوى القليل جداً.

• • •

تصاعد رنين الهاتف في السادسة، وكان ذلك عند استيقاظها من النوم بالضبط. وكانت اوليفيا واثقة من شخصية المتصل ذاك، ما جعلها تنكمش بين الوسائد، تاركة إياه يرن ويرن إلى ان سكت في النهاية ليعود إلى الرنين بعد عشر دقائق، ثم كل خمس دقائق، وأخيراً ضغطت على زر آلة تسجيل المكالمات.

عندما رن الهاتف، بعد ذلك، وقفت بجانبه ترتجف وهي تستمع إلى صوت ادوارد المتفجر غضباً وهو يطلب منها اخذ مكالمته.

«تباً لك يا اوليفيا، ليس بإمكانك ان تفلتي مني بعملك هذا.»

ولكن بإمكانها ذلك. ان كل ما عليها ان تفعله هو ان تتذكر مقدار كراهيتها له. وهي تكرهه حقاً، وعندما انتهت مكالماته، امسكت بالهاتف وطلبت دولسي.

«اوليفيا؟ اين كنت... كنت اتصل واتصل...»

«ما رأيك في العودة إلى العمل، يا دولسي؟»

«آه، لشد ما احب ذلك، انه احد اسباب اتصالي بك، وذلك لأرى ما انت بسبيل عمله. هل كنت تطلعين على صحيفة الثرثار؟ منذ ايام لم اعد أرى فيها كلمة تذكر تلك القضية. ولهذا فكرت في أنه ربما...»

«ان تفكيرك صائب. انما هنالك مشكلة واحدة، وهي انه ليس لدي نقود لأدفع لك راتبك. ان عليك ان تقبلي العمل بالعمولة إلى ان تتحسن الأمور، وبعد ذلك، هذا إذا تحسنت فعلاً، سأدفع لك راتبك المتأخر بالإضافة إلى منحة، و...»

«اتفقنا.»

فرفعت اوليفيا حاجبيها: «هل انت واثقة؟»

«اسمعي. سنستمر على ذلك شهراً. فإذا لم تتحسن الأمور بعد ذلك...» وتنحنحت دولسي. «متى تريدينني ان احضر؟»

ولأول مرة منذ حوالي الأربع وعشرين ساعة، ابتسمت اوليفيا: «ما رأيك في مدة خمس دقائق؟»

ووصلت دولسي بعد ساعة، فاحتضنت اوليفيا، ثم تراجعت إلى الخلف واخذت تحدق فيها.

«آه، لقد اسمرت بشرتك، هل كنت مسافرة؟»

«نعم، في جزر باهاما.»

فدارت عينا دولسي: «جزر باهاما؟ لمَ لا؟ فإذا لم تكن هناك طريقة لإنقاذ الباخرة من الغرق، فلماذا لا يرقص الركاب قبل ان يموتوا؟»

«ليس هذا سبب ذهابي...» وسكتت وهي تنظر إلى

دولسي التي لم تكن تعلم شيئاً عن رايا وتورطها في ما يحدث، واطلقت ضحكة قصيرة: «انها قصة طويلة، ذكريني بأن اخبرك بها فيما بعد.»

فابتسمت دولسي: «اخبريني فقط عن الشمس الدافئة، والقمر الحالم والشبان الوسيمين. اراهن على انك امضيت وقتاً رائعاً.»

وتقابلت اعين الفتاتين، وفجأة امتلأت عينا اوليفيا بالدموع، ما جعل الذعر يتملكها فتشيح بوجهها بسرعة.

فوضعت الفتاة يدها على كتفها: «اوليفيا ماذا جرى؟ اتراني قلت شيئاً آلمك؟»

فهزت اوليفيا رأسها: «كلا، لا تكوني حقماء، انني فقط... وصلت من السفر متأخرة... ولم... لم أنم جيداً.»

«هل انت واثقة؟»

مسحت اوليفيا عينيها بظهر يدها، ثم منحت دولسي ابتسامة مشرقة: «تماماً. والآن، دعينا نبدأ العمل.»

أمضت الفتاتان بعد ظهر ذلك اليوم في البحث في الدفاتر، وفي اليوم التالي اخذت اوليفيا بالاتصال بزبائن كانوا وعدوها بالتفكير في الأمر، ثم تواروا بعد ما نشرت صحيفة الثرثار ما نشرته عن تشارلز رايت.

كان الهاتف الأول صعباً. لقد قالت بمرح، وكأن شيئاً لم يحدث: «الو، هنا محل حلم اوليفيا يتكلم. اننا نتساءل عما إذا تم قراركم بالنسبة إلى غرفة الجلوس.» أو غرفة الطعام، أو المنزل الصيفي، أو أي شيء آخر. ثم كانت تنتظر، لم يستجب إليها احد... لم يهب احد لاغتنام الفرصة فيأتي إليها ويوقع العقد. ولكن البعض منهم قالوا انهم لم

يصلوا إلى قرار بعد... وثلاثة منهم وعدوا بالقدوم اثناء الأسبوع للتحدث في الأمر.

شجعها هذا النجاح، فتنفست بعمق، واخذت تدير قرص الهاتف مرة أخرى. كانت هذه الاتصالات اكثر صعوبة، فهي مع اولئك الذين كانوا الغوا طلباتهم بعد تلك الفضيحة.

وهذه المرة استجاب إليها البعض، قائلين انهم مازالوا عند رأيهم، ثم ضربوا لها مواعيد للقدوم إلى المحل، كما ان زبائن جدد ابتدأوا يتوافدون بعد ذلك بأيام، ومع نهاية الأسبوع، كانت الأمور بدأت في التحسن. واصبح لمحل حلم اوليفيا زبائن من جديد ما أحيا الآمال في الانتعاش مرة أخرى.

اخذت اوليفيا تعمل اثنتي عشرة ساعة يومياً، فتضع التصاميم والتخطيطات، وتحاول تمديد أمد الديون بلباقتها وحسن معاملتها، ثم تشترك مع دولسي في اعداد الدفاتر وتنظيمها.

لقد كانت تعمل إلى حد الإرهاق، كما قالت لها دولسي في الأسبوع التالي، وهي على وشك النزول إلى قاعة العرض: «لا يمكنك ان تستمري على هذه الحال طويلاً.»

فوضعت اوليفيا القلم من يدها، ثم اخذت تدعك صدغيها متعبة. هذا صحيح، لقد كانت مرهقة فعلاً. ولكن ليست الأيام هي التي كانت تستنفذ منها قواها، بل الليالي. تلك الساعات الطويلة من الظلمة الخاوية، والتي كان العالم يبدو لها فيها على غير ما عهدت، فتتخلى عنها شجاعتها ولا تستطيع مقاومة التفكير في ادوارد أو الحلم به.

حتى في الاحلام، كانت تحاول الامتناع عنه، كأن تقول له، اكرهك يا ادوارد وعندما كانت تستيقظ، كان الألم في قلبها يزداد اذ كانت تدرك عبث ما تحاوله من مقاومة شوقها إليه.

انه، على الأقل، لم يعد يتصل بها هاتفياً، وبعد، ما الفائدة من الغضب من آلة التسجيل؟ كما ان غضبه قد انطفأ الآن، وإلا لأتى إليها بنفسه مقتحماً بيتها، حسناً، من الخير أنه لم يفعل وإلا لكانت... لكانت...

«اوليفيا؟» فرفعت اوليفيا بصرها، كانت دولسي واقفة عند الباب وقد بان عليها الذهول: «لقد احضر اليك ساعي البريد هذا.»

كان مغلفاً من محامي تشارلز رايت. ففتحته لتخرج منه ورقة اخذت تقرأها باهتمام، لتقول لدولسي بعد ذلك: «تقول الرسالة ان موعد دفع سند القرض قد حان.»

«وهل ستدفعين؟»

فهزت رأسها. ليس هنالك من سندات بعد الآن. لقد كان تشارلز رايت سامحها بذلك والمحامي يعرف هذا من دون شك.

قالت: «ان في الأمر خطأ، وسأهتم بهذا الأمر.»

اتصلت هاتفياً بالمحامي الذي اجابها بكل تهذيب وبلهجة تقرب من الاعتذار، بانه لم يكن لديه سبيل آخر عدا عن ارسال هذه الرسالة، وذلك بعد وضع كل الأمور الأخرى في الحسبان، قائلاً: «ان الحق معك، يا آنسة هاريس. ولكن ثمة اعتراضاً على الوصية.»

فسألته: «ممن الاعتراض؟»

ولم يكن سؤالها هذا ضرورياً، فقد كانت تعرف الجواب مسبقاً، عندما اجاب المحامي: «الاعتراض هو من ابن زوجة رايت، ادوارد آرتشر.»

فاغمضت عينيها قائلة: «ذلك بسبب توصية رايت بالشركة لرايا باسكومب.»

فتنهد الرجل: «انك تعرفين هذا إذن؟ ان كل هذا في الواقع، قد جرى تدبيره، فقد عثر آرتشر على الآنسة باسكومب حيث أجرى معها اتفاقاً أرضاهما، هما الاثنين.»

«إذن، مادامت المشكلة قد انتهت...»

تنحنح المحامي: «انه قام بالاعتراض على الوصية بشأن القرض الذي سامحك به زوج أمه، يا عزيزتي حتى ولو خسر قضية الاعتراض، فإن الدعوى تأخذ وقتاً طويلاً عليك اثناءه المداومة على سداد اقساط القرض في موعدها.»

انهت اوليفيا المكالمة بأدب، وقلبها يخفق... لماذا يقوم ادوارد بذلك ضدها؟ ألم تصبح الشركة ملكه، وبالتالي نال أخيراً ما كان يصبو إليه؟ ما الذي يريده الآن؟ هل يريد تحطيم حلم اوليفيا انتقاماً منها لهجرها إياه في باهاما؟

حسناً، انها لن تسمح له بأن ينال ما يريد، فهي ستواجهه وتقول له رأيها هذا في هذه اللحظة بالذات. ونظرت إلى ساعتها. الأغلب انه في مكتبه الآن. اترى عنوان المكتب موجود تحت اسمه في دليل الهاتف؟

وهذا ماكان، ونقلته على ورقة، واختطفت حقيبة يدها، ثم هبطت السلم.

كان مكتبه في الطابق الخامس والسبعين من ناطحة

سحاب مبنية من الزجاج والفولاذ، واقعة في الامتداد المنخفض لمانهاتان. كان مكاناً يوحي بالثراء والسلطة، وكان الغرض من تصميمها، التأثير على النفوس وادخال الرهبة فيها، ونجح هذا الغرض فعلاً، ولكن اوليفيا كانت فوق كل هذه التأثرات، كانت غاضبة، وكان الغضب هو الذي جعلها تخرج من المصعد مندفعة نحو مكتب الاستعلامات، ومن ثم للسير في ممر طويل... ولكن، عندما وقفت امام باب يحمل اسم ادوارد، خانتها شجاعتها، ما الذي تراها تقوم به؟ ان بإمكان ادوارد ان يفعل ما يريده، فليس بإمكانها صنعه. ان كل الأمور في صالحه، بينما هي... هي...

فتح الباب على مصراعيه، لتجد نفسها تحدق في ذلك الوجه المألوف الوسيم، وفي تلك اللحظة، ادركت الحقيقة.

لم يكن الخوف من خسارتها ما تركه تشارلز لها، هو الذي حملها على الحضور إلى هنا. وانما الحقيقة الواضحة البسيطة هي انها تحب ادوارد، بالرغم مما هو عليه ومما فعله بها، لقد احبته في باهاما، وتحبه الآن، وستحبه على الدوام، ألا يجعلها هذا اكثر الناس الذين عرفهم العالم، غباء؟ تراجعت خطوة بسرعة فمد ادوارد يده يمسك بها، كانت لمسة عادية تماماً، ولكن لم يكن منها فكاكاً، فقد شعرت باصابعه وكأنها من فولاذ، مثلها في ذلك نظراته إليها.

قال ببرود: «ادخلي، يا اوليفيا. لقد فات اوان الهرب هذه المرة.»

كانت خفقات قلبها تتسارع، ولكنها رفعت ذقنها، ونفضت يده عنها، وتركته متجهة إلى الداخل.

كان مكتبه فسيحاً يكاد يكون بحجم شقتها بأكملها، وكانت واثقة بأن الأثاث كان جميلاً، ولكنها لم تهتم بالنظر إليه. كل ما كانت تفكر فيه هو انها جلبت ذلك لنفسها. فقد جاءت إلى هنا بكامل ارادتها، وها هي ذي الآن قد وقعت في المصيدة.

قال: «اجلسي.»

فاستدارت نحوه. كان قد اغلق الباب ثم استند إليه بظهره مشبكاً ذراعيه فوق صدره، وهو يراقبها بوجه جامد الملامح.

قالت بهدوء بينما دقات قلبها ترتفع: «كلا، شكراً، فما سأقوله لن يأخذ وقتاً طويلاً.»

لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة: «انني طبعاً، اعلم سبب مجيئك.»

فازدردت ريقها وقالت: «نعم. نعم، انا واثقة من علمك بذلك.»

«انه الإرث الذي تركه لك تشارلز رايت، وانت تريدين ان تعلمي لماذا عليك الاستمرار في دفع السندات.»

استقامت في وقفتها وهي تقول: «انني اعلم سبب ذلك يا ادوارد، انه اعتراضك على الوصية.»

فأومأ قائلاً: «نعم، هذا صحيح. لقد قمت بهذا.»

«هذا رغم حصولك على شركة جيميني للمعلبات التي كنت تسعى إليها.»

«لقد كانت صديقتك متلهفة إلى بيعها لي بسعر السوق، يا

اوليفيا، بعد ان طمأنتها إلى ان ليس لدي رغبة في تلطيخ اسمها بالوحل.»

«إذن، كان على هذا ان يسهل الأمور. اعني، لو كنت انا التي كنت عثرت عليها، فهل كنت ساتمكن من ان اعرض عليها ذلك؟ كنت ساطلب منها ان تقف وتعلن للعالم اجمع انها هي صاحبة العلاقة تلك مع زوج أمك، وليس انا.»

فنظر إليها ادوارد طويلاً، ثم تقدم نحوها ببطء، ليسألها بلطف: «هل كنت ستفعلين ذلك حقاً؟ لقد سألتني رايا عما إذا كنت غاضبة، فاخبرتها بانك غاضبة فعلاً، وان صداقتكما لن تعود أبداً كما كانت. ولكنني اشك في انك تريدين الانتقام.»

فقالت اوليفيا غاضبة: «احقاً قلت هذا؟ حسناً، ما كان لك ان تتحدث نيابة عني، يا ادوارد... انا... انا...» وسكتت، ثم تنهدت قائلة بعد لحظة: «كلا، لا اريد الانتقام، ظننت ذلك في البداية، انما... هل هي بخير؟»

«انها بخير، ولكنها مذعورة، كما يبدو، فقد كانت خائفة مما سيقوله اهلها إذا هم اكتشفوا انها كانت على علاقة مع تشارلز رايت، فقد كان اكد لها انه كان يتوسل إلى أمي للموافقة على الطلاق، وانها، أي أمي، كانت ترفض ذلك.»

فسألته بهدوء: «بينما هو لم يفعل.»

قال بشدة: «كلا.» وابتسم بمرارة وهو يتابع: «ولكن رايا باسكومب لم تكن الشابة الأولى التي سقطت في احابيل تشارلز رايت.»

أومأت اوليفيا، قائلة: «حسناً، إذن، فقد نلت ما تريده؟»

فقال وقد ضاقت عيناه: «هل نلت ذلك حقاً؟»

«نعم. شركة المعلبات، لقد قلت الآن ان رايا سلمتها لك...»

تقدم نحوها بسرعة قبل ان تستطيع التراجع، ثم قال: «لماذا هربت مني؟»

ضحكت بعصبية: «اتراني افسدت عليك الأمسية، يا ادوارد؟ اتريدني ان اعتذر؟»

فقال بشراسة: «انني لا افهمك، ولا اظنني سافهمك أبداً، فانت اكثر النساء اللاتي عرفت، استقلالاً في الشخصية، فقد شققت طريقك في الحياة بنفسك، ومع هذا تهربين على الدوام كأرنب مذعور.»

احمر وجهها وهي تقول: «أبداً، هذا كذب. انني لا اهرب ابداً.»

«ولكن رغبتك الدائمة في الهرب تجعلك لا تصبرين لحظة لمعرفة الحقيقة.»

فسألته: «ومتى هربت؟ اعطني مثلاً لذلك.»

فنظر في عينيها بحدة وهو يجيب: «لقد هربت من منزلي منذ اسابيع.»

«اتركني. انني لم احضر إلى هنا لاتلقى الإهانات.»

«وهربت ذلك اليوم في بيتي الصيفي في ايست هامبتون. ثم هربت تلك الليلة في باهاما...»

«يا لهذا الزهو والغرور اللذين تشعر بهما، يا ادوارد. ما هي المشكلة؟ هل انا أول امرأة تهجرك؟»

«تباً لك، يا اوليفيا. لماذا لا تكفين عن التصرف كمعتوهة، وتستمعين إليّ؟»

«استمع إلى من؟ إلى متغطرس لايطاق، إلى وغد لا يقف في طريقه شيء إذا هو شعر بما يعوقه عن فعل ما يريد؟»

«انني احاول ان اخبرك بأنني احبك، ايتها الحمقاء، ولست اعلم ما الذي جعلني احبك. فأنت ستجلبين التعاسة إلى حياتي، وتحطمينني، انك ستقودينني إلى الهلاك بل وإلى اسوأ من ذلك. ولكن ليس لدي حيلة، فقد وقعت في غرامك، وهذا كان منذ اسابيع. لا بد انني وقعت في غرامك منذ اللحظة التي تصادمنا فيها في ذلك المطعم، وسكبت العصير على ثيابي. في نفس اليوم الذي رأيت فيه زوج أمي يحوم حولك.»

«لكنه لم يكن يحوم حولي، لقد سبق واخبرتك...»

«نعم، لقد اخبرتني، ولكنني كنت من الغيرة بحيث لم استمع اليك. كذلك كنت اظنك تحبينني... فقد كنت قلت ذلك، في تلك الليلة في باهاما.»

«ادوارد...»

سألها: «اتحبينني؟ إياك ان تفكري بالهرب قبل ان تعطيني الجواب، يا اوليفيا، حتى ولو اضطررت لحبسك في هذا المكتب شهراً كاملاً.»

مازالت خفقات قلبها تتسارع، هل كان يعني ما يقول؟ ونظرت إلى وجهه. كان ينظر إليها بحدة وعنف... ولكن، كان في نظراته ما يوحي، بأنه كان يراها شيئاً عزيزاً غالياً ثميناً...

... والذي كان هو شعورها، هي أيضاً، شعورها اثناء كل تلك الأيام والاسابيع التي مرت...

قال بصوت أجش: «حسناً، اريد جواباً بسيطاً، اما، نعم، أو لا، يا اوليفيا، هل تحبينني، أم لا؟»

جذبت نفساً عميقاً، ثم سألته: «لماذا سرقت تلك البطاقة البريدية مني، يا ادوارد؟ كنت ساعطيك إياها تلك الليلة، وهذا ما كنت احاول ان اقوله لك عندما... عندما...»

«اتذكرين ما كنت قلته لي عندما عثرت عليك؟ (انني لن اساعدك في العثور على رايا) ثم سألتني عما إذا كنت جئت إلى باهاما للعثور عليك أو العثور على رايا؟ لقد جعلت الأمر بشكل سؤالٍ بسيط، يا عزيزتي، ولكنه كان يعني شيئاً عميقاً، ما جعلني اخاف من ان ادمر السعادة التي سنجدها معاً.»

فهزت اوليفيا رأسها وهمست: «ادوارد، لا استطيع ان أفهم.»

تنهد ثم قال: «كنت ساذهب إلى نهاية العالم للبحث عنك، يا حبيبتي، ولكن الحقيقة هي انني ذهبت إلى باهاما، أيضاً، للبحث عن رايا، كذلك. كنت مرغماً على هذا، فتلك الشركة لم تكن تعني الكثير مادياً، ولكن لو ان امي علمت بأن زوجها قد تركها لرايا...» وتنهد مرة أخرى. «يكفي انها قرأت كل تلك الأشياء عن المنزل السري، ذاك، ولكن ان تعلم انه تصرف بتلك الشركة التي كانت هي قد سبق واعطته إياها كدليل على حبها له...»

«وانت لم تشأ لها ان تتألم.»

أومأ برأسه عابساً: «لقد بذلت جهدي في اقناعها بزيارة اختها في فلوريدا، وذلك بعد وفاة تشارلز، ولكنني كنت اعلم انها، سواء عاجلاً ام آجلاً، عليها ان تستمع إلى قراءة

الوصية.» وجذب نفساً عميقاً وقال: «ان كل ما بإمكاني عمله، قبل ذلك، هو استعادة الشركة.»

«ولكن كيف ستغير استعادة الشركة، من الأمور؟ اعني إذا كانت ستسمع الوصية، فالإرث المتعلق بترك الشركة لرايا سيكون مازال فيها.»

فابتسم ادوارد بمرح: «ليس من المنطقي قراءة هذا الملحق مادام لم يعد له معنى. لقد بذلت جهداً في اقناع محامي رايت حتى وافقني على ذلك.»

ابتسمت اوليفيا قائلة: «نعم، يمكنني ان اتصور، فليس اقدر منك على الاقناع عندما تريد.»

قال: «دعيني اقنعك إذن، بأنني احبك، يا اوليفيا، انني احبك من اعماق قلبي. اخبريني انك تحبينني، انت أيضاً.»

«ولكن... ولكن لماذا لم تخبرني بكل هذه الأشياء في ذلك الصباح في باهاما؟ كنت، إذن، فهمت كل شيء.»

زم شفتيه قائلاً: «ربما. ولكنني لم استطع المجازفة، كنت خائفاً جداً من ان افقدك.»

«ثم، في تلك الليلة الأخيرة، عندما اخبرتني بانك اخذت البطاقة...» وغصت بريقها. «لقد بدوت في منتهى البرود، يا ادوارد، وضبط النفس.»

«ضبط النفس؟ لا يمكن أبداً ان اكون منضبط النفس حين اكون معك، يا اوليفيا. ولكنني كنت اشعر باليأس، ذلك انني كنت مصمماً على عرض الزواج عليك تلك الليلة، ولكن انظري ماذا كان عليّ ان اقوله لك، وهو انني فتشت في امتعتك وانني وجدت البطاقة البريدية واخذتها...»

«وانك ستتركني خلفك وتسافر إلى نيويورك.»

«كان ذلك جزءاً من معاملاتي مع رايا، فرجالي اخبروها انك في الجزيرة تفتشين عنها، واظن انها شعرت بالهلع لفكرة انها ستواجهك، وهكذا وافقت على مقابلتي انما انا بمفردي، وفي نيويورك.»

«ثم اقمت دعوى نقض للوصية بشأني. لماذا فعلت ذلك؟»

«انك لم تردي على مخابراتي الهاتفية، ففكرت في احداث مجابهة بيننا. لقد كنت امضيت عدة ليال واقفاً خارج منزلك، في البرد القارس. ولكنني لم اكن اريد ان استفيد من تلك الدعوى، كنت اريد فقط مواجهتك، يا عزيزتي، وكل احتمالات الفوز في جانبي.»

اغرورقت عينا اوليفيا بالدموع، ليس من الأسى، بل من الفرح، وهمست: «اوه، يا ادوارد، كم كنت حمقاء.»

فقال بحزم: «انك امرأة صعبة جداً، ذلك انني وجهت اليك سؤالين في غاية السهولة، وذلك منذ زمن غاية في البعد، وللآن لم احصل على جواب.»

فهمست بدلال: «اسألهما مرة أخرى.»

ارتفعت نظراته إلى السقف: «كما انها سريعة النسيان أيضاً، ماذا سأفعل بها؟»

«عليك ان تفكر في شيء ما.» وابتسمت. «والآن، اسألني ذينك السؤالين.»

«السؤال رقم واحد، يا آنسة هاريس، هل تحبينني؟»

تنهدت وأجابت: «نعم، رغم انك رجل متغطرس لا يطاق، و...»

«السؤال رقم اثنين، هل تتزوجينني؟»

فهتفت من قلبها: «متى؟»

ابتسم ادوارد، قائلاً: «الآن، في هذه الدقيقة... أو حالما تتدبرين أمر الهرب من حلم اوليفيا.»

همست اوليفيا: «يا لك من رجل احمق. ألا تعلم؟ انك انت حلم اوليفيا.»

وهذا ما سيكون عليه دوماً.

تمت

www.elromancia.com
مرمورية